الحكيم

جورج حبش في ذكراه الثامنة

إعداد: وليد عبد الرحيم

إشراف: أبو أحمد فؤاد

مركز الهدف للدراسات و التوثيق- هدف

2016

الكتاب: الحكيم ، جورج حبش في ذكراه الثامنة

إعداد: وليد عبد الرحيم

إشراف: أبو أحمد فؤاد

مركز الهدف للدراسات و التوثيق - 2006

تنويه:

ليس هذا الكتابُ كتاباً نقدياً أو فكرياً، أو هو من النوع الشامل أو المجتزء الذي يدور حول شخصية مهمة في حياة و تاريخ الفلسطينيين الحديث.

ربما هو مجرد لفتة تذكير و وفاء، تتزامن مع الذكرى الثامنة لغياب الحكيم جورج حبش جسدياً عن يوميات الواقع الفلسطيني، السياسي و الفكري والثقافي و النضالي.

و إن مركز الهدف يدرك بأن الإحاطة بجوانب شخصية الحكيم العميقة بحاجة لأكثر مما يقدمه في هذا الكتاب، بل و كل ما تم تقديمه حتى الآن في هذا الشأن، و هو يدرك بكل عمق بأن الرجل بحاجة لدراسات و استقراءات أكثر تأملاً و عمقاً مما يقدمه في هذه الصفحات، كما يعي المركز بأن هذا الكتاب إن هو إلا لفتة صغيرة باتجاه شخصية عظيمة تستجلب الكثير من التأمل.

هذا الكتاب إذن محاولة استمرار ليس إلا، فمركز الهدف بكل مساهميه يدرك بأن العمل الشامل الذي يستحقه الحكيم لم يولد بعد، و هو يسعى نحو ذلك مستقبلاً.

مركز الهدف للدراسات و التوثيق- هدف

لقد غادرتُ الوطنَ للدراسة في بيروت لأجل الارتقاء، و كلّي أملٌ و إصرارٌ على العودة إليه حاملاً معي آمالي و أحلامي و عزمي لأكمل مشواري بين أحضان وطني ...

و في لحظة تاريخية فارقة لا يمكن أن تُمحى من ذاكرتي، افتقدتُ هذا الوطن... !

افتقدت كياني ...

وغارَ الجرحُ عميقاً في كل جسدي ...

إنها اللحظة الأصعب في حياتي، التي حولتني من إنسان عاشق لوطنٍ وحياة إلى سياسيٍّ يبحث عن وطن، و حياة أفضل، ذلك هو السرُّ الذي دفعني إلى أن أوظف كلَّ سنوات عمري لأجل استعادة هذا الوطن، و أستعيد معه كل أحلامي و آمالي ...

جورج حبش

مقدمة

ما أجمع الفلسطينيون يوماً قط على شخصية كما أجمعوا على جورج حبش، الذي كنُّوه بالحكيم، و الذي ولد في مدينة اللد، عام 1926 و درس الطب في الجامعة الأميركية في بيروت.

... إثرَ النكبة، هُجر جورج حبش كبقية الفلسطينيين عن وطنه على يد العصابات النازية الصهيونية و بريطانيا و النظام العربي، وكان ناشطاً وطنياً و قومياً، و كاد يترك الجامعة بفعل الظروف العامة لكن ضغط عائلته و تحديداً والدته أدى إلى استمراره حتى تخرج طبيباً.

حاول الحكيم مع مجموعة من الشباب العربي تفسير أسباب و مفاعيل النكبة في فلسطين، فنظم جورج حبش سلسلة من الندوات في الجامعة الأميركية ببيروت، تحدث فيها كبار المتحدثين، و كانت تلك أول محاولة علنية لتأسيس حالة ثقافية سياسية خارج فلسطين بُعيد النكبة، كما أنتجت ندواته أثراً طيباً في صفوف النخبة الثقافية.

كانت مشاعرجورج حبش و قناعاته، تتبلور باتجاه فكرة أن القوة هي الطريق الوحيد لاسترداد الحق، ومن هنا كان تحركه مع مجموعة صغيرة من الشباب العرب و اللاجئين، المتواجدين في سوريا ولبنان والمشرق العربي لتشكيل "كتائب الفداء العربي"، التي قامت ببعض العمليات البسيطة

ذات الطابع الحماسي العفوي، لكن مخابرات الصهيونية و الأنظمة العربية كشفت "كتائب الفداء العربي" فقضت عليها بسهولة ،إلا أن ذلك لم يقض على فكرة الثورة، بل كان دافعاً لتبلور فكرة حركة القوميين العرب و الانخراط أكثر بالجماهير، وهو ما قاد إلى التفكير بالنضال القومي لتحرير فلسطين ثم الكفاح المسلح فيما بعد..

تخصص حبش في طب الأطفال، وعين عام 1951معيداً في الجامعة الأميريكية في بيروت، لكن تنظيمه مع وديع حداد و مجموعة من رفاقهما لبعض التظاهرات أديا إلى الضغط عليه للاستقالة فغادر إلى عمان التي افتتح فيها عيادة كان يعالج فيها الأطفال مجاناً ، ثم لحق به الشهيد وديع حداد.

بدأ حبش و حداد من عمان قيادة حركة القوميين العرب التي علا شأنها يوماً بعد يوم، و تم عقد المؤتمر التأسيسي الأول للحركة في الأردن عام 1956.

كان الفضل للسوية الثقافية العالية التي يتمتع بها الفلسطينيون اليوم لهذا الجيل المؤسس و على رأسه الحكيم و عشرات المثقفين و المناضلين، و قد ذاق حبش ورفاقه مرارة الملاحقات و الاعتقالات في غير عاصمة عربية إلى جانب الكيان الصهيوني الذي لاحق الثوار و المثقفين و الوطنيين في كل مكان محاولاً خنق إمكانية النهوض الفلسطيني ...

تزوج الحكيم من الفتاة المقدسية هيلدا حبش وأنجبا ابنتين، و السيدة هيلدا تعيش حالياً في الأردن.

منتصف الستينات من القرن العشرين، اندلعت شرارة المقاومة و الكفاح المسلح بعد إرهاصات و عوائق كبيرة، و برز فيها قائدان يجلهما الفلسطينيون بغالبيتهم هما ياسر عرفات و جورج حبش ، اللذين اختلفا حول العشرات من القضايا خلال مسيرتهما، لكنهما مثلا نموذجاً للوحدة الوطنية فكسبا احتراماً منقطع النظير من قبل الفلسطينيين جماهيرَ و نخبةً، و من العرب على حد سواء، و من أحرار العالم ..

انطلقت عام 1969 الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الحكيم، و ذوت و تلاشت تدريجياً حركة القوميين العرب بعد خلافات و انشقاقات، و اشتد على إثرها الكفاح المسلح الذي أوصل القضية الفلسطينية إلى أروقة السياسة العالمية وحافظ على التماسك الشعبي و الرسمي الفلسطيني حتى اليوم، فتمت ملاحقة و اعتقال جورج حبش لمرات عديدة و في أماكن عدة..

ظل الحكيم ورفاقه في حالة نضال دائم لا يكل حتى اليوم، و توفي في عمان في 1/26 / 2008بعد ثماني سنوات من استقالته من رئاسة الجبهة الشعبية.

لو سألتَ أيَّ فلسطيني اليوم عن جورج حبش لانتفض فيه حس المحبة لهذا الطبيب المناضل و المفكر و القائد التاريخي الكبير، حتى و لو كان من المختلفين معه أو مع نهجه، فلسان حال كل فلسطيني و كل عربي

مناضل و كل حر في العالم يقول اليوم في ذكراه الطيبة: طوبى لجورج حبش، فكراً و ممارسة و نقاءً، لذكرى الحكيم الذي حصد محبة و احترام و إجماع الفلسطينيين و العرب.

كان طبيباً وليس طبيباً فحسب، مفكراً و مثقفاً وليس ذلك فحسب ، و مناضلاً و ليس بمناضل فحسب، و قائداً لم يكتف بالصفة، لقد كان الحكيم ممثلاً لثقافة و فلسفة و حضارة و كفاح فلسطين و تاريخها لستة آلاف عام خلتْ، هذا هو سر احترامه و محبته من قبل الفلسطينيين و العرب و أحرار العالم.

... هو إكسير حياة من نوع خاص.

جورج حبش، يحق لنا أن نبكيك و نفتقدك في ذكراك و غير ذكراك...

وليد عبد الرحيم

جورج حبش

- مختصَرُ سيرةٍ ذاتية-

ولد جورج حبش في مدينة اللد يوم 1926/8/2.

عاش طفولته وأكمل دراسته الابتدائية في مدارس اللد ، والثانوية في مدارس يافا والقدس، وعمل في مهنة التدريس في مدارسهما وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر.

غادر فلسطين عام 1944 الى لبنان طلباً للعلم في الجامعة الأميركية التي تخرج منها طبيباً بتفوق عام 1951.

اثناء دراسته في الجامعة عام 1948 عاد جورج حبش الى مسقط رأسه مدينة اللد، ليعمل بين أبناء شعبه في مشفى اللد، ورغم اشتداد العدوان الصهيوني المدعوم من سلطة الانتداب البريطاني آنذاك، ظل متشبثاً بالأرض والوطن، حتى لحظة رحيله وعائلته مجبراً الى مدينة رام الله، فالقدس ثم عمان حيث عمل طبيباً بعد تخرجه، و أبدى اهتماما خاصاً بعلاج الفقراء وأبناء المخيمات من اللاجئين.

خلال فترة دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت، تشكل وعيه الوطني والقومي، فقرار تقسيم فلسطين عام 1947 كان بالنسبة له صدمة كبيرة، و

رفع مع العديد من طلاب الجامعة شعار " قرار التقسيم يجب ألا يمر " وسيَّر مع زملائه التظاهرات التي نددت بالقرار الجائر، إضافة الى انشداده إلى العمليات العسكرية التي كانت تدور في فلسطين قبل إعلان قيام الكيان الصهيوني عام 1948.

شكل حبش بعدها مع بعض رفاقه العرب أثناء نشاطهم في " جمعية العروة الوثقى" منظمة " شباب الثأر" ثم "الشباب القومي العربي" التي رفعت شعارات عدم الاعتراف " بإسرائيل" ، و من ثم تأسست " هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل" التي أصدرت نشرة حملت اسم "الثأر".

أسس حبش في العام 1951 حركة القوميين العرب مع مجموعة من أصدقائه أمثال جهاد ضاحي وديع حداد، مصطفى الزبري"أبو علي مصطفى"، وأحمد الخطيب من الكويت و غيرهم. وكانت الحركة ذات تأثير قوي ونفوذ واسع في نشوء حركات قومية أخرى في الوطن العربي ، وظل يعمل من الأردن على نشر أفكاره الثورية، وفي العام 1957 غادر الأردن الى سوريا .

كانت المرحلة الممتدة من 1961-1964 من المراحل الصعبة والقاسية في نضال جورج حبش ، حيث تميزت بطابعها السري، بسبب اشتداد حملات المطاردة والملاحقة، مما اضطره سراً لمغادرة سورية الى لبنان ومواصلة نضاله من هناك.

أنشأ حبش مع عدد من رفاقه في العام 1964 فرع فلسطين لحركة القوميين العرب، الذي قرر منذ ذلك التاريخ تهيئة الأجواء لبدء الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الصهيونية و كيانها النازي العنصري.

تركت هزيمة حزيران- يونيو في العام 1967 واحتلال باقي الأراضي الفلسطينية و خاصة مدينة القدس أثراً كبيراً في نفس وتفكير جورج حبش، إضافة الى الآثار السلبية التي تركتها الهزيمة على المد القومي بشكل عام.

أسس حبش مع مجموعة من رفاقه في العام 1967 الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من مجموعة منظمات فلسطينية، شكلت في حينها قوة مادية مؤثرة على الأرض، عكست تفكير جورج حبش وإيمانه بالوحدة الوطنية الفلسطينية في مواجهة كيان الاحتلال، و طرحت نفسها في الساحة الفلسطينية، تنظيماً تقدمياً وقومياً يسارياً منذ البداية .

لكن الجبهة الشعبية لم تبلغ عامها الأول حتى انفصل عنها نايف حواتمة لأسباب أيديولوجية وأسس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

... شاركت الجبهة الشعبية في معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية في الأردن، وبعد أحداث "أيلول الأسود"، خرج حبش مع قوات الثورة الفلسطينية من الأردن الى لبنان، وأقام في بيروت.

واصل كفاحه من لبنان، ومن خلال موقعه كقائد للجبهة الشعبية ساهم بفاعلية في النشاط السياسي والنضالي، كما وساهم مع فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في تحقيق نجاحات وإنجازات مهمة للشعب الفلسطيني،

وكانت تجمعه بياسر عرفات علاقة نضالية تقوم على أساس الاختلاف و وحدة الصراع ضد المحتل الإسرائيلي .

و على الرغم من الخلافات السياسية والفكرية بينهما بقيت العلاقة التي تجمعهما علاقة احترام وتقدير، وكانا حريصين على الدفاع عن الأهداف العليا للشعب الفلسطيني، وما جمعهما في مرحلة النضال كان أكثر مما فرقهما، بل حتى في أشد اللحظات قتامة أطلق عليه ياسر عرفات لقب حكيم الثورة، لما يتمتع به من فكر وقدرة على التحليل العلمي والسياسي.

اختلفا كثيراً وتناقضا كثيراً، ولكنهما لم يتناحرا، بل جمعتهما فلسطين الوطن، وهذا مما ميز القائد الحكيم جورج حبش الذي لم يشرع البندقية في يوم من الأيام الا لصدر العدو، متجاوزاً أية خلافات داخلية حادة.

بقي حبش في بيروت حتى العام 1982 و شهد حرب الاجتياح و خروج الفصائل الفلسطينية إلى تونس و دمشق والعواصم العربية الأخرى.

و بقي حبش في دمشق حتى العام 2000، و هي سنة تخليه و استقالته عن قيادة الجبهة الشعبية ، حيث انتقل بعد ذلك إلى العاصمة الأردنية عمان، و أمضى آخر سنوات حياته.

أسس جورج حبش في العام 2003 مع مجموعة من المثقفين العرب مركز الغد العربي للدراسات كمؤسسة بحيثة مستقلة، غير ربحية.

توفي حكيم الفلسطينيين يوم السبت 26-1-2008، تاركاً خلفه شعباً متمسكاً بمبادئه، و شريحة مثقفين كبيرة تحمل أفكاره و مبادئه ، و احتراماً شعبياً و نخبوياً منقطع النظير..

هو والوطن تاريخٌ واحد

أحمد سعدات

أن تكتب عن الحكيم "جورج حبش" فأنت في الواقع تكتب عن فلسطين الوطن، وعن قضية العرب الأولى، ومسارها، وسيرورة النضال الوطني الفلسطيني، ومشوار الكفاح للشعب الفلسطيني، فقد تماهت صورة الرجل مع صورة فلسطين.

وإن أردت أن تتعرف على شخصية وهوية جورج حبش فأنت في الواقع تبحث عن هوية أمة في فكر رجل، وفي وجدانه، وعواطفه، بل تبحث عن إضاءات في ظلام الأمة، وعن حركة قومية جسدت خيار وآمال أمة بأكملها.

لا غرو في ذلك، فالرجل صاغ فصلاً سياسياً وكفاحياً في تاريخ فلسطين والأمة العربية، و لم يكن ممكناً أن تتبلور شخصيته و تتحول إلى كاريزما وطنية و قومية، و كيانية مكافحة، مناضلة دون انصهاره وعياً و فكراً

وعاطفة، و ممارسة مع قضايا ومعضلات الأمة العربية الكبرى و في القلب منها فلسطين الكيان المسلوب منه، فامتد بصره بعيداً نحو أمة تنهض و تبحث عن مكان لها تحت الشمس، وعقله يكشف مكنون اليمن السعيد، وأرض بابل، و وطن عمر المختار، و فعله يبدأ من لبنان الديمقراطي متزوداً منه وعياً، و فكراً، وحيوية، راسماً إطاراً تنظيمياً و سياسياً لصهر الأمة مع تاريخها وحاضرها كي تصنع مستقبلها.

لقد ملكته فلسطين واحتضنته طفلاً يافعاً، و شاباً طالباً، مناضلاً، ثائراً، فقد نسج من مخيلته وعقله و وعيه و وجدانه و سهره و أرقه، و دموعه خيوطاً زاهية في متن الرواية التاريخية لوطن أضاعته الخيانات، و مزقته العصبيات و القبليات.

انصهر مع الرواية، فكان هو والوطن تاريخاً واحداً في زمن واحد، هو و الوطن نبض قلب واحد لجسد واحد، هو و الجغرافية كيان واحد...

وهل ثمة ثائر خارج الجغرافيا والتاريخ؟ .

انصهرت شخصيته حتى النخاع في العملية الثورية، ولم ينفصل عنها حتى توقف قلبه النبيل عن الخفقان، تسلح بالمناعة الثورية و الصلابة المبدئية و لم تهزهما التغييرات العالمية العاصفة لصالح معسكر الأعداء، و آمن بعمق بضرورة التجدد والتجديد و قاوم التحنط الفكري و المذهبي و الميوعة و التحلل و السقوط في شراك العفوية و الارتجال.

كان حالماً، و ثائراً في عروبته و قوميته يكاسر الريح، و يعاند الأمواج العاتية حيث أدرك معنى و قيمة العروبة كمرادفٍ لمعنى الانتصار و العلو، فتشكلت شخصيته القومية مع مسار الوعي القومي العربي، و مواجهة سياسات التقسيم و التفتيت الاستعماري، فأنشأ حركة قومية تحررية إيماناً بالعمق العربي في معركة فلسطين القادمة، و آمن بالقيم التاريخية و الوطنية للوحدة العربية في الصراع مع الآخر، وبالقيمة الاستراتيجية للوحدة العربية في مسار و سيرورة حركة التقدم و التنمية و الاستقلال السياسي و الاقتصادي والاجتماعي.

كان مشوار كفاحه نشيداً وعزفاً لوحدة الأمة، و حين أسس الجبهة الشعبية، أرادها "جبهة" تعكس جميع القوى الشعبية استعداداً و انطلاقاً لمعركة وفرتها ظروف الهزيمة العربية.

لم تكن ماركسيته نقيضاً لعروبته أو نفياً لها، و طوّعها كي تكون طريقاً آخر نحو العروبة الواحدة، و تفعيل البعد الطبقي و الاقتصادي و الاجتماعي في بناء القومية الواعدة.

و لم تكن ثقافته الإسلامية، و إيمانه المسيحي و وعيه القومي، و استرشاده الماركسي إلا مكونات شخصيته الواحدة الثقافية المتبلورة و المنفتحة على الفكر الإنساني و الفكر التغييري الثوري في الزمان و المكان المعاشين.

كان متوحداً مع فكره الثوري أياً كانت مصادره، ثائراً قومياً، و ثائراً وطنياً، و ثائراً أممياً، و حين حمل لواء القومية، كان ثائراً من أجل وحدة

العروبة، و حين أعطى فلسطين بعدها الوطني و المركزي في النضال كان في الواقع يبحث عن بارود الثورة في الواقع الاجتماعي و السياسي المعاش، و عبر إبراز القيمة الثورية للهوية الوطنية الفلسطينية، و حين حمل لواء التحول نحو الماركسية، كان باحثاً موضوعياً عن محفزات الثورة الطبقية وأداة الثورة الاجتماعية والطبقية التي لا مصلحة لها إلا باستمرار الثورة.

و هنا لا غرو في القول أن جورج حبش كان ثائراً واحداً في أيديولوجيته و أهدافه، و ممارسته، و في قوميته و وطنيته و أمميته، فكانت حكايته من ألفها إلى يائها حكاية ثورة، حكاية أمة ووطن، لا بل حكاية فلسطين.

بيد أن الحكاية يستشهد بطلها في منتصف الطريق الشاق، و لم يزل الراوي يسرد فصول الرواية، و ثمة من يسأل: هل من بطل آخر يقتفي آثار ذلك الثائر المتحد مع الوطن و التاريخ و الجغرافيا و الشعب ليصنع مجداً وانتصاراً ؟.

"أنا في حال انسجام مع قوميتي العربية و مسيحيتي و ثقافتي الإسلامية و ماركسيتي التقدمية"

جورج حبش

الفصل الأول

شخصيات عايشت الحكيم

إلى والدي،

في ذكرى إقامته الدائمة فينا

لمى جورج حبش

... كنت تدهشني و لا تزال، بما كنت تمتلك من يقين، و كأنك اليقين ذاته .. اليقين بحتمية العودة إلى فلسطين،" كل شبر من تراب فلسطين " جملتك التاريخية .

إيمان الراسخ الذي لم يتزعزع يوما...

كم أحاول اليوم أن أستلهم هذا الإيمان، و ما أحوجني إليه في زمن تُعرض فيه فلسطين، كل فلسطين للبيع في مزاد علني..

تُباع فيه الأرض و أحلام الأجيال الراحلة والأجيال القادمة..

زمن يُباع فيه حق العودة مقابل "تعويض"، تعويض! عن الوطن، عن الحلم، عن الروح !.

زمن يباع فيه تاريخ من التضحيات، هذا هو منطق التجار و المساومين.

لكن فلسطين لن تذكر إلا أبناءها الأوفياء...

لن تذكر إلا من قدم روحاً و عمراً و فكراً و دماً في سبيلها...

حين أحاول اليوم أن أستلهم شيئاً من روحك ليعطني زاداً و قوةً في هذا الليل المظلم الطويل، في زمن المؤامرات و المقامرات، أستذكر وجهاً مضيئاً بهالة روحانية من الثقة، ثقة من عمل و ضحّى و زرع الفكرة، و أيقن أنها لن تموت، يقين من أدرك أن قضيتنا عادلة و مقدسة، و بأنه لن يبقى في الأرض إلا ملح الأرض، لن يبقى في الأرض إلا أبناء الأرض.

كنت دائما تقول أن من يئس و من يروّج لليأس هو من لا يريد أن يعمل، ومن لا طاقة له على الحلم.

قضيتنا تحتاج إلى "نفس ثوري طويل"، هذا ما رددته دائماً. "إن النضال ضد المشروع الصهيوني قد يستمر مائة عام أو أكثر، فعلى قصيري النفس أن يتنحوا جانباً " كانت هذه كلماتك...

كم كنت ثورياً و قوميا و إشتراكياً و روحانياً في آن واحد..

كم كنت منحازاً للبسطاء من الناس..

آمنت دائماً بأن هؤلاء البسطاء هم أبطال القضية، و كم صدقت رؤيتك ... منسجماً كنت مع نفسك و مع مبادئك، صلباً راسخاً كالصخر مضيئاً بروحانية و قوة اليقين و الإيمان و الثقة...

فطوبى لك أيها الباقي فينا.

شذرات من الذاكرة

أبو أحمد فؤاد

قد يكون من المفيد إيرادُ بعض مما اتذكره من اللقاءات التي شاركت فيها إلى جانب الرفيق الشهيد الحكيم، و أن أدخل فيها بلا مقدمات...

اللقاء مع الرئيس فيديل كاسترو:

بعد اتفاق أوسلو جرى ترتيب زيارة وفد من الجبهة برئاسة الرفيق الحكيم و كنت أحد أعضاء الوفد، بالإضافة إلى زوجة الحكيم، و بسام أبو شريف و ممثل الجبهة في هافانا .

في أحد أيام الزيارة، و بعد أن انتهينا من عدة زيارات و لقاءات رسمية في هافانا عدنا الى بيت الضيافة ، فدخل الحكيم غرفته للراحة...

بعد قليل فوجئنا بأحد ما يقرع باب الشقة، فقمت بفتح الباب وفوجئتُ بالرفيق الرئيس فيديل لوحده، و لا أحد معه على الإطلاق!.

قلت له تفضل، ادخل الى الصالون، فدخل و طلبت منه الجلوس

في هذه الأثناء وصلت المترجمة التي رفضت بلباقة الجلوس حتى حضور رئيس الوفد ...

أبلغنا الحكيم، فحضر بعد دقائق قليلة، و بقي فيديل واقفاً الى أن وصل الحكيم!

جلس الرئيس كاسترو بُعيد وصول الحكيم، فرحب به و بالوفد، ثم طلب منه إطلاعه على التطورات العربية و الفلسطينية، فبدأ الحكيم حديثه مستعرضاً التطورات، ومركزاً بالتحديد حول اتفاق أوسلو و مخاطره و الموقف الرسمي للمنظمة، و موقف الجبهة الرافض لهذا الاتفاق، شارحاً و مبيناً مخاطره.

فيديل كاسترو كعادته لم يقاطع الحكيم، و استمع إليه حتى أتم حديثه، وأثناء شرح الحكيم للوضع الفلسطيني ، طلب من فيديل التدخل مع الأخ أبو عمار لتغيير موافقة السياسة الأخيرة بقوله "لأن أبا عمار يحترمك و يحترم رأيك"

أجاب كاسترو :" لقد أصبح هذا صعباً " لأن أبو عمار اتخذ خياراً مغايراً لما كان معروفاً عنه وعن الثورة و المنظمة ، و أردف قائلاً : " لكن إذا حصل أي لقاء بيننا سأحاول، و سأطلعه على رأيي و وجهة نظري".

و كان الحكيم قد أشار أثناء الحديث إلى وضع المقاومة والوضع العسكري الفلسطيني، و طلب منه فيديل الشرح أكثر عن هذا الموضوع فقال الحكيم : الرفيق أبو أحمد فؤاد هو المسؤول العسكري للجبهة، و سوف يشرح لك الوضع .

قمتُ بدوري في هذا الموضوع، و قد لا حظت اهتمامه الكبير بالتفاصيل .

في النهاية، أكد على أن الشعب الفلسطيني سينتصر، و أن الإمبريالية و الصهيونية ستُهزمان، وأن المقاومة هي من سوف تحقق الانتصار، و أن كوبا ستقف الى جانب الشعب الفلسطيني دائماً ...

اللقاء مع الرئيس هواري بو مدين:

بعد هزيمة 67 زار وفد برئاسة الرفيق الحكيم الجزائر، و كنت أحد أعضاء هذا الوفد .

شرح الرفيق الحكيم الأوضاع و التطورات، و كان الرئيس بومدين متأثراً جداً، متألماً بسبب ما حدث، وعبر عن قلقه على الأمة العربية وعلى مصر بشكل خاص، و تجربة جمال عبد الناصر و أثر الهزيمة عليه وعلى الأمة بأسرها .

كان بو مدين يومها في أوج شبابه وحيوته ، نحيلاً جداً ، و هو يتحدث اللغة العربية بشكل جيد و يتمتع بتواضع شديد حتى أنه استخدم عبارة " أنت يا دكتور أستاذنا، و نحن نتعلم منك ".

فقال له الحكيم بصراحته المعهودة، و بدون أية دبلوماسية:"عليك يا أخ هواري أن تتوجه شرقاً، و لا تُبقِ العلاقات مع الغرب"

و أضاف الحكيم:" كما عليك أن تقدم لمصر و لعبد الناصر كل الدعم، فالجيش المصري خسر كل شيء تقريباً"

أجاب الرئيس بو مدين:" قبل أيام قليلة عدتُ من الاتحاد السوفييتي، و وقعت على صفقة سلاح كبيرة، هي للجيش المصري على حساب الجزائر، وسوف تتعزز العلاقة مع الاتحاد السوفييتي ".

و أكد على دعمه الكامل للشعب الفلسطيني و لثورته ، و أن الجزائر بكل إمكاناتها تقف الى جانب الشعب الفلسطيني المناضل .

لقاء مع الرئيس أحمد حسين البكر:

الرفيق الحكيم كان على رأس وفد إلى العراق، و كنت أحد أعضاء هذا الوفد.

بعد أن أنهينا عدة لقاءات مع المسؤوليين العراقيين، فوجئنا بتحديد لقاء مع الرئيس لم يكن محدداً سابقاً .

... ذهبنا إلى مكتب الرئيس أحمد حسن البكر، سلم علينا ثم جلس خلف مكتبه، مع العلم أنه عادة يجلس الرئيس مقابل رئيس الوفد الزائر! .

لاحظ الحكيم هذا التصرف الملفت للنظر ، و قد لاحظنا أن لهجة الترحيب بنا ليست كالمعتاد، و أن فيها نوعاً من العتاب أو اللوم، لم نكن نعلم بأن هناك أية مشكلة مع العراق ، أو المسؤولين في هذا القطر الشقيق، فقد كانت علاقاتنا جيدة و إيجابية.

خاطبنا الرئيس بحدة نوعا ما:" أنتم قسمرتونا في أميركا" ،

لم يفهم أي منا معنى هذه الكلمة، و لم نتمكن من الاستفسار من ممثلنا في العراق الذي كان يرافقنا ضمن الوفد، لكننا لاحظنا أنها ليست كلمة مديح على الأقل !.

سألنا بلوم :" لماذا عزلتم رفاقنا من اتحاد الطلاب العرب في الولايات المتحدة " و تابع :هذا تصرف غير مقبول، نحن حلفاء، و ما كان ينبغي لرفاقكم أن يأخذو الاتحاد لوحدهم، ولا يشركوا رفاقنا" .

أجابة الحكيم بقوله: يا سيادة الرئيس نحن غير مطلعين على هذا الموضوع وعندما نعود سوف نتابع هذه المسألة و بالتفصيل..

ثم جرى حديث مختصر حول الأوضاع و التطورات السياسية، و بقي الرئيس غير مرتاح، و تعامله معنا ظل أيضاً سلبياً.

... انتهى الاجتماع بسرعة وغادرنا بغداد ، ثم سألنا عن موضوع اتحاد الطلاب العرب في أميركا، عرفنا بأن الرفاق هم القوة الرئيسة في الاتحاد و بأنهم خاضوا الانتخابات لوحدهم واستلموا الهيئة الإدارية، نحن اعتبرنا أن هذه نتيجة انتخابات طبيعية و بأن الأمر عادي لايتطلب أن تنتج عنه مشكلة، و قد عالجنا هذا الموضوع و بقيت العلاقات مع العراق إيجابية الى أن وقعت خلافات سياسية قبل الحرب الإيرانية العراقية ، و تعمقت الخلافات على إثر بدء الحرب و موقف الجبهة المعارض لهذه الحرب .

وعادت العلاقات فيما بعد، عندما بدأت التهديدات الأميركية بالعدوان على العراق .

و أذكر أن الرفيق الحكيم طرح علينا - في المكتب السياسي- بأنه ينوي زيارة بغداد و لقاء الرئيس صدام حسين، و أنه لا بد لنا أن نقف الى جانب العراق في هذه المعركة و أن العدوان قادم، و لا يجوز أن نبقى على خلاف مع العراق، و قد تم التركيز من قبل الحكيم على أهمية العراق، و شعب العراق، و جيش العراق ...

تخوف بعض الرفاق ألا يتعاطى الرئيس صدام حسين بإيجابية مع هذه الزيارة، و لكن بعد نقاش طويل تقرر أن يقوم الحكيم بالزيارة ..

وفعلاً تمت الزيارة و استقبله الرئيس صدام بحفاوة و بكل احترام ، و قال الحكيم له بكل وضوح بأن العدوان قادم، و أنه مهما قدم العراق ، و مهما حاول منع العدوان سياسياً و دبلوماسياً ، فإن الأساطيل قد تحركت للقيام بالعدوان و ليس للعودة الى مواقعها بدون ارتكاب الجريمة .

و قد كان رأي الرئيس صدام قريباً من رأي الحكيم، و لكنه قال : " سننتصر و لن نهزم ، شعبنا عظيم و جيشنا مقاتل ، و نحن مصممون على المواجهة و المقاومة إذا فرضت علينا"

عاد الحكيم و وضع المكتب السياسي بصورة الوضع ، و التخوفات و قال بأن الوضع صعب و خطير ، ولكن العراق سيصمد و يقاوم .

و قال إن على الثورة الفلسطينية ، وعلينا نحن كجبهة أن نقف الى جانب العراق و أن نقوم بواجبنا لمواجهة العدوان ....

اللقاءات الكثيرة مع الرئيس حافظ الأسد:

بعد انقطاع العلاقة منذ أن تم تحرير الحكيم من السجن في دمشق، إثر تلك الحادثة الشهيرة، استمرت العلاقة السلبية بين الجبهة والنظام حتى عام 1978، حيث عادت العلاقة و جرت لقاءات كثيرة مع الرئيس حافظ الأسد و معظم المسؤولين السوريين ...

في أول لقاء مع الرئيس كنت أحد أعضاء الوفد ، حيث تحدث الحكيم مطولاً عن الأوضاع و دور سوريا و المقاومة و أثناء حديثه المطول، قال بصوت مرتفع نسبياً : يا سيادة الرئيس فرصتك الآن أن تكون عبد الناصر، أن تقوم بدور عبد الناصر، أن تحل محل عبد الناصر ..... الخ

شخصياً، توقعت أن ينفعل الرئيس و يقاطع، و لكنه لم يحرك ساكناً ، و لم يظهر على وجهه أي غضب أو توتر.

استمر الرفيق الحكيم بالطرح لعدة ساعات ، فيومها استمر اللقاء ست ساعات تقريباً، شربنا فنجان قهوة و كأس شاي فقط، و كان يضع على الطاولات الصغيرة أمامنا علب سجائر "حمراء" وغيرها من السجائر المحلية السورية

ست ساعات بدون استراحة، حتى هو لم يتحرك،

بدأ الرئيس حديثه بمقدمة طويلة عن تاريخ الأمة ، و تبين بأنه قارئ و ملم ، و طرحه متماسك و نظرته القومية عميقة جداً و راسخة ..

وعندما جاء على فقرة الإجابة على ما طرحه الحكيم، طبعاً لا متسع هنا للحديث عن تفاصيل اللقاء بأكمله، و لكنني أريد أن أوضح كيف رد على ملاحظة الحكيم (عليك أن تكون عبد الناصر و تقوم بدور عبد الناصر ..... الخ)

أجاب بهدوء و مودة، أنا يا دكتور، مرحلتي غير مرحلة جمال عبد الناصر، والظروف تغيرت و حالة النهوض القومي التي كانت في الفترة ليست هي نفسها الآن، و تحدث مطولاً عن هذا الموضوع ، و بعد أن انتهت هذه الملاحظة قال له الحكيم (ما تفضلت به صحيح)

أيضاً أجد من المناسب طرح هذه الحادثة لأهميتها ....

علمت الجبهات الأمنية أن لدى الجبهة أسلحة غير مرخصة في سوريا، كنا في تلك الفترة نرسل أسلحة للداخل " فلسطين"، حصلنا عليها و لم نرخصها لانها لن تبقى في البلد .

أما الأجهزة الأمنية فقد اعتبرت هذا الموضوع خطيراً، و تابعت أنا الموضوع مع الجهات المعنية، واعتقل عدد من الرفاق، و أصبح الأمر خطيراً، و قد يتم اعتقال قياديين من الجبهة، و قد تغلق بعض المكاتب أو كل مكاتب الجبهة الشعبية.

اقترحت على الرفيق الحكيم أن نلتقي وزير الدفاع مصطفى طلاس حتى نعالج هذا الموضوع ، ذلك لأن الأمر خطير .

كنا غير متفائلين بأن الحل سيكون هيناً، و لكن يجب أن نحاول...

وصلنا مكتب الوزير مصطفى طلاس، وجدناه في استقبالنا عند المدخل وكان هذا مؤشراً إيجابياً،

جلسنا في مكتبه، و حاول الحكيم أن يطرح الموضوع ، و كان كلما حاول ، دخل طلاس بحديث يتجنب الموضوع ، هو لا يريد أن يسمع!.

كرر الحكيم المحاولة للدخول في المسألة، و قبل أن يذكر أية كلمة عن الموضوع قال مصطفى طلاس:"اعتبر أيها الحكيم أن الموضوع منتهٍ تماماً ، ولا داعي للشرح، أنت و الجبهة تتمتعون باحترامنا جميعاً ، وعندما تعود إلى مكتبك سوف تجد الشباب المسجونين في مكتبك .

هذه الحادثة تدل على أن الحكيم له مكانة مميزة، ومصداقية عالية عند أصدقائه و خصومه، و فعلاً ما قاله الوزير مصطفى طلاس نفذ فوراً .

اللقاء مع الرئيس إيميل لحود :

استقبلنا الرئيس لحود بحفاوة، أول ما دخلنا مكتب الرئيس قام مسؤول البرتوكول بأخذ العصا التي يتعكز عليها الحكيم، فلفت نظري هذا التصرف، و كنت أنوي التدخل ، لكن الحكيم أشار و قال لي " هذا عادي .."

تبين لنا بأن هذا الرئيس مختلف عن كل رؤساء لبنان، و كان تقييم الحكيم أننا أمام رجل مختلف عمن سبقوه، و يمكن الاعتماد عليه في حل المشكلات التي يعاني منها شعبنا الفلسطيني في لبنان و أن موقفه عروبي (مع المقاومة و مع سوريا ... الخ) لكن مع الأسف موازين القوى، و الحصص الطائفية و المذهبية حالت دون أن يتحقق شيئٌ للشعب الفلسطيني في لبنان في عهده ...

أما بالنسبة لقضايا أخرى داخلية في لبنان و مع سوريا فقد منع الكثير من المؤامرات و الخطط المعادية .

اللقاء مع الرئيس المناضل أحمد بن بلا:

كان الشهيد الحكيم ينظر إلى هذا الرجل باحترام شديد، و كنت ألاحظ دائماً مدى اهتمامه بهذا الرجل في كل لقاء، و كذلك الأمر بالنسبة للرئيس بن بلا، كان لديه نظرة للحكيم مميزة جداً...

هناك الكثير لدي مما كان يتحدث به الرئيس بن بلا في لقاءاته مع الحكيم، و لكنني أود ذكر ما كان يكرره في كل لقاء

" أنا يا رفاق لدي بوصلة قائمة على التالي: أينما تقف أميركا و إسرائيل أكون في الخندق الآخر تماماً ، و لن أغير هذا الفهم في أي يوم من الأيام" .

قال بن بلا: فلسطين ستعود، و ستحرر ، المسألة مسألة وقت، و مثل الجزائر قائم أمامنا جميعاً .

مع الرئيس الليبي معمر القذافي

شاركت في عدة لقاءات برفقة الحكيم مع معمر القذافي

كان الحكيم في كل لقاء مع معمر يطلب منه الاهتمام بالعمل القومي و بناء المؤسسات و البناء الداخلي، و القضية الفلسطينية و يذكر بدور معمر على الصعيد القومي و دعم الشعب الفلسطيني...

و كنا في كل مرة نلتقي به ، يطلب من الرفيق الحكيم أن يبقى في ليبيا للتعاون في إدارة العمل القومي، و هو يفضل أن يعمل معه في هذا المجال لما للحكيم من خبرة و تجربة و كفاءة، و في كل مرة كان الحكيم يرفض ذلك، و يقول له أنا مستعد للحضور عندما يكون هناك أمر يستدعي ذلك...

و للأمانة و التاريخ فإن هذا الرجل قدم في السبعينات و الثمانينات للمقاومة الفلسطينية ما لم يقدمه أحد على الإطلاق، و منها للجبهة الشعبية على مختلف الصعد و خاصة الجانب التسليحي...

حادثة مهمة و خطيرة جرت في أحد الزيارات إلى ليبيا، ففي أحد المؤتمرات حضر الحكيم، و بعد انتهاء أعمال المؤتمر وقف لكي يودع الأخ معمر القذافي مستئذناً بالسفر في اليوم التالي، و لكن معمر قال له " أريد أن أبحث بعض الأمور الضرورية، لا تسافر غداً"، فأخذ الحكيم بطلب معمر .

في اليوم التالي كان من المفترض أن يكون الحكيم على متن طائرة ما ، فتم خطفها من قبل العدو الصهيوني، و لكنهم لم يجدوا جورج حبش فأسقط في يدهم، و نجحت الصدفة و مبادرة معمر بالتأخير و إنقاذ الحكيم من براثن المجرمين الصهاينة، و لو وقع في أيديهم لأعدموه و هذه تحسب لمعمر القذافي و يشكر عليها.

في الواقع، هناك الكثير مما يمكن أن أتحدث عنه في اللقاءات مع معمر القذافي منها ما هو إيجابي و ما هو سلبي...

مع الأخ الشهيد أبو عمار:

في أحد الاجتماعات في تونس، بعد نقاش طويل، احتد النقاش و غادر الحكيم الاجتماع و حضر إلى المقر الذي كنا نقيم فيه فسألته:" ما بك يا حكيم ؟" فأجابني:" لم أستطع أن أحتمل ما يطرحه أبو عمار، لقد طرح مواقف سياسية فيها تنازلات و هو مصر على موقفه...

قلت للحكيم " ما رأيك بأن نتصل به و ندعوه لزيارتنا، فقال "حاول لا مانع عندي".

اتصلت بأبو عمار و أبلغته بأن الحكيم يريد أن يلتقي معه ثنائياً فكان جوابه "عندما ينتهي الاجتماع سوف آتي إليكم، و فعلا بعد فترة قصيرة حضر أبو عمار فجلسنا في الصالون، الحكيم و أبو عمار و أنا، و فجأة سأله الحكيم بعصبية : يا أخ أبو عمار ناوي تخون؟، بدك تخون، ما الذي تفعله ؟!.

بدوري تفاجئت بالسؤال و اللهجة، و أبو عمار طبعاً كذلك، لكنه رد بهدوء و باللهجة المصرية المعتادة:" أنا يا خوي إذا خنت مرافقي فتحي بيقتلني".

.... انتهى ذلك اللقاء بلا توتر و بعد أن غادر أبو عمار سألني الحكيم عن رأيي، فخرجنا أنا و الحكيم باستنتاج بأنه لن يوقع على أية خيانة و لكنه سيستمر بسياساته و تكتيكاته التي تخدم نهجه السياسي، كما سيستمر خلافنا معه لكن على قاعدة الوحدة و تصحيح الأخطاء و تصعيد المقاومة، و تبين فيما بعد بأن استنتاجنا كان سليماً.

كما أنني حضرت لقاءات عديدة برفقة الحكيم مع قيادات كثيرة أخرى منها مثلاً الرئيس اليمني علي ناصر محمد، علي عنتر، و الكثير خلال المسيرة الطويلة، و الحديث يطول حول هذه اللقاءات مع القيادات اليمنية ، لأن العلاقة كانت مميزة، وسوف أتحدث عنها في مناسبة أخرى، فمجال هذا الكتاب لا يتسع لذلك.

ملاحظة: لقد تحدثت فقط عن بعض اللقاءات التي حضرتها مع الحكيم و لم أذكر أسماء أعضاء الوفود خشية أن أنسى أحداً، و ربما لم يكن ذلك ضرورياً لأنني فقط أذكر ما يتعلق بحضوري و شهادتي خلال اللقاءات مع الرفيق الشهيد الحكيم.

في ذكرى الحكيم

السيدة هيلدا حبش- أرملة الحكيم-

تحل الذكرى الثامنة لرحيل الحكيم، فقيدنا الغالي و فقيد الأمة العربية و رفيق الدرب النضالي الشاق و نحن في خضم أحداث جسيمة وخطيرة تهدد كياننا و وجودنا برمته كأمة عربية و شعب عريق بحضارته و تاريخه المجيد و مكانته بين الأمم.

إن الهجمة الشرسة التي تجتاح وطننا العربي من قبل أعتى القوى المعادية للإنسانية لم يسبق لها مثيل بوحشيتها و همجيتها و أفكارها الظلامية المدمرة، و ما خلفته من قتل و دمار للبشر و الحجر، و لكل ما يمت للحياة الآدمية بصلة، و حولت بلادنا إلى ساحات صراع على النفوذ بين القوى الأقليمية و الدولية، و حقل تجارب لجميع أنواع الاسلحة الفتاكة التي فتكت بأطفالنا ونسائنا و شبابنا و هجرت الملايين منهم في شتى أصقاع الأرض، يعانون قسوة التشرد و الفقر و المرض و البطالة و قسوة الموت برداً و جوعاً وغرقاً.

لكن شعبنا سينهض من بين الركام كطائر الفينيق ليعلن للملأ بانه يرفض الظلم و الذل و الهوان و يطالب بالحرية و الاستقلال فوق ترابه الوطني. تتزامن هذه الذكرى الأليمة مع اندلاع الانتفاضة المجيدة في شتى أرجاء الوطن المحتل، غليان شعبي و ثورة على الظلم و القهر و انسداد الأفق في وجه شبابنا و شاباتنا الذين يفجرون غضبهم و يطلقون صرخة مدوية في وجه المجتمع الدولي، المنحاز لإسرائيل و استقرارها و أمنها و سلامتها على حساب مستقبل شعوبنا.

... إن التصريحات المستفزة للقيادة الفلسطينية بأنها لا تريد العنف ولا التصعيد، و تعتبر اتفاقيات أوسلو المذلة و المجحفة إنجازاً لا تنازل عنه، و تعمل جاهدة لإجهاض الانتفاضة المجيدة و الالتفاف عليها لكبح جماح الشباب الثائر على الظلم و الطغيان و على الأوضاع المزرية التي أوصلتنا إليها سياسة التنازلات المجانية والتنسيق الأمني مع إسرائيل، و إن ما تعتبره السلطة الفلسطينية إنجازاً هو لعنة حلت على شعبنا قتلاً و إعدامات ميدانية و اعتقالات و تعذيب و جرحى و إعاقات و مصادرة ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، و إقامة مئات الآلاف من الوحدات الاستيطانية و جدار الفصل العنصري و حواجز عسكرية و طرق التفافية، و مدننا محاصرة.

إن ما تمارسه اسرائيل من قمع و انتهاكات و عربدة هو الإرهاب بذاته، إرهاب دولة تدعي الديمقراطية أمام العالم الذي يقف موقف المتفرج على

المجازر اليومية في فلسطين، وهذا ما يجعل خيرة شبابنا و نسائنا و أطفالنا، و هم في عمر الورود يزهدون بالحياة و يندفعون بكل إيمان و ثبات و بعزيمة حديدية يفجرون غضبهم كالبركان في وجه جنود الاحتلال المدججين بالسلاح، و يمرغون هيبة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بكل جبروتها بالتراب، و هم يتلقون الرصاص الحي بصدور عارية.

لقد اذهلوا العالم بتصميمهم على مقاومة العدو و اندفاعهم نحو موت محقق في سبيل الخلاص من هذا الطاغوت الجاثم فوق صدورهم.

هم طيور الجنة و شموع تحترق لتضيء للاجيال القادمة درب الحرية والاستقلال، و بهذه المناسبة أدعو القيادة الفلسطينية و معها جميع الفصائل، إلى أن يشكلوا قيادة وطنية موحدة للانتفاضة، تتخذ موقفاً تاريخياً و تعمل على حماية الشعب و تعيش هموم الناس و قضاياهم العادلة، و أن تعمل السلطة الوطنية على وقف التنسيق الأمني، و كل الاتفاقيات التي تطبق من جانب واحد و تعمل على مساندة الانتفاضة و استمرارها و تجذيرها و مدها مادياً و معنوياً و عسكرياً، لتكون هذه القيادة على مستوى طموحات و تطلعات شعبنا و تضحياته الجسيمة.

تعود بي الذاكرة الى عام 1987 عندما اندلعت انتفاضة أطفال الحجارة السلمية و العفوية و هزت المجتمع الدولي، حيث وقف العالم مذهولاً أمام تلك الظاهرة، و مازلت أذكر كيف أن الحكيم تفرغ تماماً في ذلك الحين لمساندة أبطال الانتفاضة و كان على اتصال مباشر و يومي بالقيادة الموحدة

للانتفاضة التي تشكلت من كافة التنظيمات الفلسطينية، و رفعت شعار «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة». كان يتبادل الرسائل مع قيادة الداخل و يتابع كافة التفاصيل باهتمام بالغ، و اعتبرها خطوة جبارة نحو انتقال ثقل المقاومة الى داخل فلسطين المحتلة. و كان التعاون و التنسيق الأمني على أشده مع الشهيد القائد أبو جهاد، رحمه الله، و مع العديد من القيادات الميدانية الوفية لشعبها و لقضاياه العادلة.

لن أطيل عليكم سأنقل لكم بعض المقاطع المهمة في خطاب الحكيم التاريخي الذي ألقاه في مخيم اليرموك في سوريا بمناسبة الذكرى الأولى للانتفاضة المجيدة عام 1988، كنت الى جانبه على المنصة وسط حشد جماهيري ضخم و عدد كبير من الضيوف و قادة الفصائل، و ألقى الرفيق جورج حاوي، رحمه الله، كلمة حيا فيها الانتفاضة و أطفال الحجارة، و أكد على التلاحم الفلسطيني اللبناني.

و استرسل الحكيم في خطاب حماسي و مؤثر ألهب الحضور، و كان في أوج مجده و بمعنويات عالية و بكل شموخ حيا أطفال الحجارة و شباب الانتفاضة و جميع الشهداء الذين رووا بدمائهم الطاهرة تراب الوطن و حيا أهالي الشهداء و جميع الذين يؤيدون و يساندون و يشاركون نضالات جماهيرنا داخل فلسطين المحتلة.

و لكم مقتطفات من هذا الخطاب التاريخي:

نلتقي اليوم بمناسبة مرور عام كامل على انتفاضة شعبنا المجيدة. و بما أننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نشكل فصيلاً أساسياً في القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، أعلن لجماهيرنا العربية أن الجبهة ستبقى تعمل لاستمرار الانتفاضة، و لتجذير الانتفاضة و لتصعيد الانتفاضة و امتدادها حتى تأتي بكافة نتائجها الفلسطينية و العربية و الدولية، و تحقق شعارها السياسي الذي رفعته و سالت الدماء من أجله، شعار الحرية و الاستقلال.

و بصفتي أميناً عاماً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فإن من واجبي أيضاً ان أعلن للجماهير الفلسطينية في كل مكان و لكل الجماهير العربية باسم الجبهة الشعبية و مكتبها السياسي و لجنتها المركزية و مقاتليها و قواعدها، أن الجبهة ستبقى مخلصة و وفية للرؤية السياسية التي طرحتها، و للخط السياسي التي تمثله و للمفاصل الرئيسية في هذه الرؤية و على رأسها فهم الجبهة لحقيقة الكيان الصهيوني، باعتبارها ظاهرة استعمارية سنبقى نقاتلها عاماً بعد عام عقداً بعد عقد، جيلاً بعد جيل، حتى نطهر الأرض الفلسطينية و كامل الأراضي العربية من رجس الاحتلال.

إن انتفاضة جماهيرنا في فلسطين تحمل مضامين كبيرة ومعانٍ كثيرة، اسمحوا لي أن أتحدث بشكل مكثف و مختصر حول المضامين و المعاني الكبيرة التي تمثلها انتفاضة أهلنا في الأرض المحتلة.

إن الانتفاضة الشعبية تمثل مرحلة جديدة من النضال الوطني الفلسطيني من الممكن أن تؤسس لمرحلة جديدة من النضال العربي برمته.

نحن الآن نعيش و للمرة الاولى منذ عام 1948 و لا حاجة لأن استعرض معكم مسيرة النضال الوطني الفلسطيني منذ الخمسينيات وحتى الآن. ولكن أنه و للمرة الأولى جماهيرنا في الأراضي المحتلة، التي تشكل 40% من جماهير شعبنا الفلسطيني هي التي تتحدى و تحتل مكان الصدارة في مواجهة مشروع الكيان الصهيوني، هذه سمة أولى جديدة.

السمة الثانية، لقد كان الصراع الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني جزءاً لا يتجزأ من الصراع العربي الصهيوني، أي أن المظهر الرئيسي للصراع صراع عربي صهيوني يحتل فيه الصراع الفلسطيني الصهيوني هامشاً معيناً، الآن و للمرة الاولى منذ أربعين عاماً على هذا الصراع يظهر الوجه الفلسطيني ليقول، أنا محور و جوهر هذا الصراع و سأبقى كذلك، بدون أن يعني ذلك المساس بأي شكل من الأشكال بفهمنا لقومية المعركة، و إنما أصبحت قومية المعركة تدور الآن حول المحور الأساسي، محور الصراع الفلسطيني الصهيوني.

السمة الثالثة لهذه المرحلة هي دور الجماهير في صنع التاريخ، إمكانياتها، قدراتها، إبداعاتها وعبقريتها.

نحن نعيش الآن فترة من تلك الفترات التاريخية التي تجسد بشكل واضح و ملموس ما يعنيه ذلك، لقد وقفت الجماهير الفلسطينية بعد عام 1982بشكل خاص و راجعت مسيرة النضال الطويلة، راجعت نتائج الحروب العربية ضد إسرائيل، راجعت نتائج حرب أكتوبر 1973 و انحراف السادات في

طريق كامب ديفيد و المأزق الذي بدأت تعيشه البندقية الفلسطينية في الساحة اللبنانية، و تساءلت ماذا عن كل التضحيات: ماذا عن الأمل؟

ماذا عن الحقوق الوطنية المشروعة، وبالتالي تسلحت بالحجر، بالمولوتوف، بالسكاكين، ضد المحتل لتثبت أن حقها باقٍ و ستدافع عنه بكل الوسائل الممكنة حتى يتحقق النصر.

السمة الرابعة ظهرت في الأشهر الأولى للانتفاضة، حيث تبلورت مجموعة القيم الأخلاقية، تلك القيم المتمثلة بالاعتماد على النفس و التضامن و التكافل الأسري و استسخاف نمط الحياة الاستهلاكي و التركيز على الاقتصاد البيتي، مقاطعة البضائع الإسرائيلية هذه هي الانتفاضة، و في هذه الحالة فقط يمكن أن نعرف ماذا تعنيه لنا تاريخياً، و نعرف كيف نستثمرها فلسطينياً وعربياً.

تجذير الانتفاضة، أعني أن يصبح لها جذور عميقة في الأرض، بحيث تخبو آمال رابين و شامير في إخمادها و تصبح عملية القضاء عليها معادلة للقضاء على الشعب الفلسطيني بأسره...

إن تجذير الإنتفاضة يعني أيضاً الوقوف أمام القيادة الموحدة اللجان الشعبية اللجان الضاربة، لجان الإغاثة، الوقوف أمام موضوعة وحدة كافة الاتحادات و النقابات و المؤسسات الوطنية.

ما نقصده بتجذير الانتفاضة إيجاد القاعدة التنظيمية الصلبة الموحدة، التي تضمن استمرار الانتفاضة.

إننا في الجبهة الشعبية حريصون على الانتفاضة و انتصاراتها، و هنا يجب أ ن نوجه الدعوة باستمرار لحماس، سواء تجاوبت معها أم لا لتعمل في إطار القيادة الوطنية الموحدة، و إذا كان ذلك غير ممكن فعلى الأقل قيام مستوى معين من التنسيق بينهما يضمن الاتفاق حول البرامج النضالية اليومية التي تطرح للجماهير.

يجب بذل كل جهد مستطاع لتتوحد كل الجهود الفلسطينية في مقاومة الاحتلال بعيداً عن النزاعات و الصراعات و الخلافات التنظيمية.

إن دماء أهلنا التي سالت في الأرض المحتلة، تفرض علينا أن نفكر بمسؤولية وجدية، تفرض علينا أن نستنفر كل طاقاتنا و إمكانياتنا، أن نكون صادقين واضحين في كل كلمة نقول، و أن نسد كل فجوة ما بين القول و الممارسة، فأهلنا و أطفالنا يستحقون منا هذا الشعور العميق بالمسؤولية.

جورج حبش القائد والإنسان

هاني المصري

لن أكتب عن جورج حبش الزعيم التاريخي الذي استحق لقب الحكيم فقط، بل سأكتب عن جورج حبش الإنسان من خلال لقطات شاهدتها بأم عيني، وعشتها وما زالت معي، وستبقى ما حييت .

كُتب و سيكتب الكثير عن الحكيم أثناء حياته و بعد مماته، فهو شخصية فلسطينية وعربية وعالمية مميزة جداً و فذة، لدرجة أنني أزعم بأن كل من تعرف إليه، أو أن أي أحد من بني البشر، اذا تعرف إلى جورج حبش عن قرب، سيبقى يكن له المحبة و الود مهما اختلف معه، لأن له شخصية جذابة ساحرة و آسرة.

و لمعرفة مدى أهمية الحكيم، علينا أن ننظر كيف تعاملت إسرائيل معه، و كيف نظرت إليه. فقد كتب مركز أبحاث إسرائيلي، قبل عشرات السنين: إن جورج حبش لو لم يكن مسيحياً، و لو لم يكن ماركسياً، لاحتل مكانة في العالم العربي، لا تقل عن المكانة التي نالها جمال عبد الناصر، وذلك للصفات القيادية العديدة التي يملكها، و أنا أقول إن جورج حبش و رغم

كونه مسيحياً و ماركسياً، إلا أنه نال مكانة كبيرة جداً في فلسطين و الوطن العربي، تدلل عليها حالة الحزن العميم و الشعور بالخسارة التي حلت و عمت بعد وفاته داخل فلسطين وخارجها،

الحزن الكبير وقع رغم أن الحكيم تنحى قبل ثمان سنوات عن موقعه في الأمانة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغاب عن صدارة الأحداث، و لكنه بقي حاضراً في قلب شعبه و أمته.

جورج حبش، المؤمن حتى النهاية، و المقتنع حتى النخاع، بالديمقراطية و التجديد، آثر الترجل رغم أنه قادر على البقاء و الانتصار على مرضه، لأنه مدرك لأهمية أن يترك الجيل المؤسس مساحة للشباب، بحيث يمكن الجمع بين حكمة الشيوخ و حماسة و إبداع الشباب. فكان قدوة رغم إصرار القادة على أن لا يحذون حذوه، فهم آثروا التمسك بمقاعدهم رغم أن بعضهم أصيب بكافة الأمراض، بما فيها الزهايمر.

كتب الكثير عن جورج حبش الثوري و الراديكالي، و زعيم المعارضة الفلسطينية لأكثر من عشرين عاماً، و لكنهم حين كتبوا لم يلتفتوا الى أن حبش عارض ياسر عرفات و لكن ضمن معادلة، "نختلف حوله و لا نختلف عليه". وعارض السياسة دون أن تصل المعارضة إلى حد الانقسام و الإلغاء و الخروج على المنظمة الكيان و الإطار و المرجعية، بل كانت

معارضة حبش معارضة داخل البيت، و تهدف الى إصلاحه و ليس إلى هدمه.

كتب الكثير عن جورج حبش بسبب سياسة خطف الطائرات و العمليات الخارجية، و كتب عنه كمؤسس لحركة القوميين العرب، و صديق و رفيق عبد الناصر، و حليف السوفييت و كوبا كاسترو، و كصديق و ناصح لرفاقه في اليمن الجنوبي، و لكن جورج حبش الانسان، الصادق، المتواضع، الأمين، البسيط، لم يُكتب عنه الكثير.

و لم ينل الإنسان في جورج حبش سوي نزر يسير من الاهتمام، لعل السبب اعتقاد خاطئ بأن البساطة و التواضع يتناقضان مع الثورة و الحزم و المعارضة.

ليس من مدرسة الباحثين عن الشهرة :

رغم أهميته، و دوره و كارزميته لا ينتمي إلى مدرسة الباحثين عن الشهرة بأي ثمن من أجل تسويق روايته. فقد شاءت الظروف أن أكون معه في عدة زيارات و أثناء انعقاد عدة جلسات للمجلس الوطني، و لاحظت بأم عيني، كيف تهافت الصحفيون عليه دائماً من أجل إجراء المقابلات، و كان يرفض ليس من قبيل التمنع، و إنما لأنه يرى أن المقابلة يجب أن تُجرى في موعدها، وأن القائد لا يجب أن يثرثر و يكرر آراءه، و يتحدث "عمال على بطال"، و فيما يفهمه و فيما لا يعرف عنه. و عندما يختار الموافقة على

إجراء مقابلات يدقق بها، و بعد إلحاح مني و من غيري من الصحفيين و الإعلاميين الذين يرون وجوب أن يكون الحكيم حاضراً في الإعلام.

و انا أكتب هذا الكلام تحضرني عبارات كررها على مسامعي صحفيون وصحفيات و كيف أنهم يتجنبون المرور مجرد المرور، بالقرب من بعض القادة الفلسطينيين خشيةً من أن يفرضوا عليهم فرضاً بالتخجيل و الإلحاح إجراء مقابلات معهم؟ بينما الحكيم يتهرب من إجراء المقابلات! .

كانت تربطني به علاقة مميزة، أكبر و أعمق من مجرد علاقة كادر في تنظيم الجبهة بالأمين العام، فقد كانت علاقة محبة و تقدير و احترام متبادل. و يمكن أن أسمح لنفسي بأن أقول إنها علاقة صداقة. فكان يهمه بين حين و آخر أن يستمع لوجهة نظري رغم إلحاحي الدائم على ضرورة الإسراع في إصلاح و تطوير الجبهة و تحويلها الى التنظيم الذي نصبو إليه، إلى التنظيم القائد و ليس المعارض فقط.

و بالمناسبة ، كان يسمع أكثر مما يتكلم رغم أن هذا الكلام لا يبدو منسجماً مع اعتقاد الذين استمعوا أو قرأوا خطاباته عن بعد، خصوصاً التي ألقاها بمناسبات انطلاقة الجبهة، و التي كان يتحدث فيها أكثر من 4 ساعات دون تعب و بترابط بحيث ينتقل الخطاب من موضوع الى آخر ليصل الى ما يريد الحكيم إيصاله للجماهير، فالقادر على إلقاء هذه الخطابات الحماسية و الفكرية كان يستمع أكثر مما يتحدث!!

... من أشد اللحظات على نفسي، كتابة كتاب استقالتي من الجبهة الشعبية في نهاية العام 1990، لأسباب تتعلق بالخلافات في وجهات النظر، و لا تمس برأيي بدور الجبهة التاريخي المميز في النضال الفلسطيني، فالجبهة رغم خروجها عن الخط أحياناً، لكنها سرعان ما تعود إليه، مثلت البوصلة و الضمير، و التعبير الصادق عن الاتجاه الفلسطيني العام التلقائي. و هذا يعود أولاً لشخصية الحكيم.

عندما وصلته استقالتي من عمان و هو في دمشق، حاول أن يثنيني عن الاستقالة و كلف أحد أعضاء المكتب السياسي بأن يقنعني بأهمية البقاء في الجبهة، و لكنه لم يكن الشخص المناسب لهذه المهمة، فهو كان "كفران" هو الآخر، أو بدا لي كذلك.

لم أكن في الجبهة بسبب جورج حبش فقط، و لكن اهتمامه بي وبدوري، و قوله مراراً بأنني و بعض الرفاق الآخرين ساهمنا بتطوير إعلام الجبهة، و بمقدورنا أن نساهم بتطوير الجبهة، كان عنصر إطراء كبيراً لا يستطيع الإنسان أن يتجاهله، و شكل قيداً كبيراً حال دون الاستقالة قبل ذلك.

كان تقدير الحكيم لي و لأمثالي، رغم أنني لم أكن من المصفقين له أو الموافقين دائماً على ما يقوله أو يفعله، هذا يرجع الى اقتناعه بضرورة الجدل و المبادرة و الاختلاف من أجل التطوير.

جورج حبش مؤدب و لطيف و إنسان بكل ما لهذه الكلمة من معنى، فهو يهتم بك كإنسان، و يسأل عن أحوالك الشخصية وهمومك و يحاول أن يساعد على حلها، و يدعوك الى بيته للغداء أو العشاء دون أية حواجز، و يعترف بخطئه أمام الجميع، و يسجل أخطاء الجبهة الشعبية في الاجتماعات و اللقاءات و المقابلات، و في التقارير الصادرة عن مؤتمراتها العامة، و يقبل كما كان مراراً وتكراراً، أن يكون مع الأقلية في الجبهة، و يلتزم بالقرار، رغم أنه مؤسس الجبهة و قائدها منذ ولادتها و حتى العام 2000، حين قرر الفارس أن يترجل.

و لم يرحل ، و لم يختر رغد العيش و بمقدوره ذلك لو أراد تكفي إشارة من إصبعه، بل انكب على دراسة تجربته في سياق البحث في تاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة.

كان بمقدور "ابو الميسا" أن يرتاح في نهاية عمره، و لكنه انشغل في القضية و انشغلت به، حتى آخر لحظة من حياته.

و كما روى ماهر الطاهر رفيق دربه، فإن آخر ما عانى منه الحكيم هو حصار غزة، وآخر ما فرح به هو رؤية العبور العظيم من غزة الى مصر، العبور الذي كسر الحصار و أثبت نظرية الحكيم الذي لم يمل من تكرارها عن أن الجماهير المعبأة المنظمة المؤمنة بقضيتها، قادرة على اجتراح المعجزات و تحقيق النصر.

لم يتحدث الكثيرون عن أن الحكيم كان شريفاً طاهراً، و لم يصب بلوثة الفساد رغم أنها أصابت الكثيرين، فقد عاش و مات و يده بيضاء، تعطي و لا تأخذ، رغم توفر لحظات كثيرة كان يستطيع فيها أن يأخذ الكثير.

"ابو عمار لن يخون" :

قال لي مرة، وهو في ذروة الخلاف مع توأمه السياسي ياسر عرفات، أن أبو عمارلن يخون، قلت له لماذا تقول اذاً إنه منحرف، و يقود الاتجاه الاستسلامي وإنه... الخ... فقال:"هذا خلاف سياسي و لكنني واثق بأنه لن يخون".

فقلت له: من أين تجد كل هذه الثقة؟

قال لي: لقد أكد لي كثيراً انه لن يخون و أنا اثق بكلمته، و أضاف أن ياسر عرفات لا يريد أن يموت دون أن يحقق شيئاً لشعبه مثل الحاج أمين الحسيني، بل يخشى أكثر ما يخشى أن يواجه هذا المصير، لذلك لا يكف عن الحركة و المبادرة و السفر في كل أصقاع الدنيا، و يبدي مرونة أحياناً تكون مبالغاً بها، و لكن لم يحد عن هدفه ابداً و هو فلسطين.

هكذا قال جورج حبش، أما أنا فأقول بعد تأييد ما قاله إن ياسر عرفات خطا خطوة كبيرة نحو تحقيق حلمه و لكنه استشهد على أرض فلسطين و كان حلمه و لا يزال محلقاً في سماء فلسطين.

وهذا يقودني الى أهم نقطة في فكر جورج حبش، وهي إيمانه العميق بأن طبيعة الحركة الصهيونية وعداءها للأمة العربية و جذرية الصراع معها، لا يتركان أية إمكانية للوهم بإمكانية عقد سلام حقيقي معها و مع أنه وافق على البرنامج المرحلي، إلا أنه لم يتنازل أبداً عن كون هذا البرنامج يتراوح ما بين كونه اعتراضياً أو مرحلياً، أي خطوة على طريق تحرير فلسطين... كل فلسطين.

كان يعتقد بأن ميزان القوى القادر على تحقيق دولة فلسطينية ذات سيادة على كامل الأراضي الفلسطينية المحتلة العام 1967، و حل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً على أساس القرار 194 الذي يضمن التعويض و العودة، سيكون قادراً أو لا يفصله الكثير، عن تحرير فلسطين كل فلسطين، لذلك عارض أوسلو بشدة، و رفض أن يدخل فلسطين تحت حراب الاحتلال، و بينما يرفرف علم إسرائيل على حدودها مع الأردن، لقد قال مراراً وتكراراً إن هذا فوق قدرته على الاحتمال.

رحل جورج حبش الفلسطيني العربي الأممي، القومي الاشتراكي، الإنسان المتواضع، الصادق، و ترك وراءه ميراثاً يجعله شخصاً سيبقى اسمه شامخاً مؤثراً و حاضراً في ذاكرة و وجدان الشعب الفلسطيني.

من ذكرياتي مع الحكيم جورج حبش

د.عدنان جابر

من ذكرياتي مع الحكيم، حادثتان لا أنساهما:

1- في عام 1979 كنت عائداً لتوي من رومانيا بعد رحلة علاج لقدمي غير القابلة للشفاء، والتي ما زال فيها حتى الآن 60 شظية من الرصاص المتفجر "دمدم" الذي تلقيته، والحمد لله في اشتباك مع الصهاينة الأعداء، و ليس من الأشقاء في اقتتال داخلي، أو بالغلط !

أتت برقية من مكتب الجبهة الشعبية في دمشق إلى بيروت، كي أحضر لأرى أمي التي جاءت من الخليل لرؤيتي.

بعد عودتي من زيارة أمي، و كنت في مخيم شاتيلا في طريقي إلى بيتي في الحرش، قابلت بالصدفة أمام "المكتب السياسي" الحكيم و معه اثنين من الرفاق، سلمتُ عليهم، و فوجئت بالحكيم يبادر إلى سؤالي: كيف حال أمك؟!

كان جورج حبش "الحكيم" إنساناً !

2- في عام 1994 أصدرت كتابي " الثوب و العنب، في سوسيولوجيا الثورة الفلسطينية" في دمشق، على نفقتي الخاصة، و من ثمن بيع أثاث بيتي في عمان.

تضمن الكتاب موضوعين أدعو من خلالهما إلى استقالة أبرز زعيمين فلسطينيين:

ياسر عرفات "أبو عمار"، بعد سقوط طائرته في الصحراء الليبية كان عليه أن يبادر إلى تهيئة غيره و يفكر في احتمال رحيله حتى لا يربك الوضع الفتحاوي و الفلسطيني لأنه يمسك بكل المفاتيح و الصلاحيات.

و جورج حبش "الحكيم" الذي يعاني من وضعه الصحي، وهو ليس مذنباً في مرضه، و الحكيم المحترم و المحبوب من الناس عندما يستقيل و يهيء لغيره و لما بعده لن يقل احترام الناس له، بل سيزيد احترامهم و حبهم له، و سيشكل سابقة في الساحة الفلسطينية و لدى الأحزاب العربية، حيث اعتدنا على زعماء يريدون البقاء إلى الأبد.. أو حتى القبر !!

بعض الرفاق، ممن يرون جورج حبش الحكيم كصنم أو كأيقونة لا ينبغي أن تُمس، و ممن لا يدركون أن فلسطين و القضية أكبر من فرد حتى و إن كان قائداً و رمزاً، و أن مهمة الكاتب ليست مسح الجوخ و التسبيح بحمد الوضع القائم، بل عليه أن يتحلى بصفة النقد و الاستشراف من منطلق المسؤولية و الاحترام، لم يعجبهم كتابي و انتقادي لجورج حبش الحكيم، حتى أن أحدهم، و هو كادر و ليس قائداً، قال لي بين الجد والهزل: سأكسر رجلك الثانية !

و للأمانة، لم يصدر عن مسؤولي الجبهة الشعبية أي موقف تشنجي أو عدائي تجاهي بسبب الكتاب، و تراوحت مواقفهم بين أنني أعبر عن رأيي وأنني حر في ذلك، و بين أن استمرارية بقاء الحكيم أميناً عاماً للجبهة ضرورية لوحدة الجبهة.

ماذا كان موقف الحكيم؟

كان كبيراً و لم يأت معي على ذكر الكتاب. وهذه هي الحادثة ذات الدلالة:

في سوريا كنت أحد أعضاء الهيئة الإدارية لـ "رابطة الأسرى المحررين من السجون الصهيونية". ارتأت الهيئة الإدارية تشكيل صندوق للرابطة يُعنى بشؤون الأسرى و احتياجاتهم و مساعدة الحالات الصعبة، و كان رأينا أنه لو قام كل تنظيم فلسطيني بالتبرع لصندوق الأسرى بـ 100 دولار فقط شهرياً فهذا سيفي بالغرض و تكون خطوة رائعة.

أول من التقيناه كان الحكيم الذي وافق فوراً على التبرع للصندوق.

في اللقاء ذكرت للحكيم عن حال أسيرة سابقة لديها ابنة وحيدة، وحتى تعيش بكرامة هي و ابنتها عملت في مكتب للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة في دمشق، تعمل قهوة و شاي و تمسح الطاولات !

بكى الحكيم أمامنا و أنا أروي له حال تلك الأسيرة.

الحكيم إنسان حساس، و دمعته سريعة !

في اللقاء ذاته، طلب الحكيم من سكرتيره أن يحضر لنا نسخاً من كتاب الباحث اللبناني محمود سويد الذي ألفه عن الحكيم.

و حصل ما جعلني أستنتج أن الحكيم يحترمني و لم يزعل مني بسبب كتابي، لأن الحكيم إنسان كبير و يتحلى بثقافة الإصغاء.

طلب مني أن أكتب على نسخ الكتاب الذي أراد أن يهديه لنا عبارة باسمه. فكتبت:

"قد يخسر الإنسان أشياء كثيرة، لكن عليه ألا يخسر نفسه".

أريت العبارة له فوافق عليها، و كررت كتابتها على بقية النسخ الست، و تحت العبارة وقَّع الحكيم بيدة المرتجفة بسبب المرض.

بعد اللقاء، سألني الحكيم (كعادته في الاستفسار عن شؤون الإنسان الذي يقابله): ماذا تكتب الآن ؟

أجبته: أعمل على كتاب بعنوان "العرب و عصر ما بعد النفط".

قال لي مشجعاً: هذا موضوع مهم و أريد أن تهديني نسخة بعد صدوره.

... بعد صدور كتابي "الثوب والعنب" الذي دعوت فيه إلى التجديد و إلى استقالة الحكيم، قدمتُ استقالتي من الجبهة الشعبية كي أكون منسجماً مع ذاتي.

لا أنسى تاريخي و ذكرياتي في الجبهة الشعبية، فأنا بالأساس من "منظمة السيخ" التي تتألف من شخص واحد، هو المؤسس و القاعدة والقيادة، عندما قمت في 5 حزيران 1969 أمام الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل، و كان عمري 17عاماً، بطعن ثلاثة جنود إسرائيليين بسيخ كباب صنعته في مدرسة الأمير محمد المهنية، و أصبت بجراح في رقبتي و قدمي، و قضيت

سبع سنوات و نصف في سجون الاحتلال الصهيوني، قبل أن يتم إبعادي عام 1976.

وأنا أقر وأعترف، أنني قبل أن أنال شهادة الدكتوراة في الفلسفة في بلغاريا في المنفى اللئيم عام 1992، كنت تعلمت الديالكتيك في سجن عسقلان العزيز عام 1970 على يد رفيق من الجبهة الشعبية، قصير القامة، عملاق الإرادة، هو ربحي حداد (أبو رامز) الذي استشهد و بيده السلاح في نابلس القديمة، عام 2002، له أنحني.

بعد انتمائي فقط لتنظيمين هما: تنظيم "السيخ"، سيخ فلسطين و ليس سيخ الهند، و تنظيم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، لم أعد أنتمي، حزبياً، لأي تنظيم فلسطيني. أنتمي إلى مظلتنا الكبرى "فلسطين"، أخدم القضية بقلمي وعلى طريقتي و بما ملكت من قوى عقلية و جسدية، و أعتبر أن فلسطين نهر و كل منا، صغر أم كبر، هو جدول عليه أن يصب في هذا النهر.

أدركت و ما أزال: ليس لدينا قيادة فلسطينية بمستوى آلام وآمال الشعب الفلسطيني، بمستوى تعقيدات الصراع، و بمستوى ظلم و كفاءة و لؤم العدو الصهيوني.

لدينا حالات قيادية طيبة، و لدينا قادة تاريخيون كاريزميون، لكن ليس لدينا نهج و سياق و تراكم.

نريد زعماء قدوة يؤمنون و يلتزمون بأهمية الوحدة الوطنية و توحيد و تنظيم و تفعيل طاقات الشعب الفلسطيني في الوطن و الشتات، زعماء لا ينتمون إلى الكراسي، بل إلى زيتون البلاد !

بعد سنوات على صدور كتابي "الثوب و العنب" قدم الحكيم استقالته من منصب الأمين العام للجبهة، و خلفه الرفيق أبو علي مصطفى.

لا أعرف إن كان لكتابي تأثير في تفكير و موقف الحكيم عندما استقال. لكنني أعرف و متأكد من أن الحكيم إنسان كبير، رمز تاريخي، و قائد كاريزمي، أهم صفاته: أنه إنسان، و أنه يمتلك ثقافة الإصغاء.

عاش محترماً، و رحل محترماً.

عندما توفي الحكيم بكيت عليه بحرقة، مثلما بكى عليه كثيرون. و تشرفت، و شرفني الرفاق في مجلة "الهدف"، و أنا مستقيل من الجبهة، بكتابة مقال على الغلاف الأخير للمجلة بعنوان: "وداعاً يا حكيم".

هل كان الحكيم حالماً ولا واقعيا متشدداً

أم ثوريا واقعيا !

نصار إبراهيم

أقف في هذه المقالة أمام بعض الجوانب و بعض المفاصل التي قد يراها البعض عادية ومعروفة، و قد يراها البعض جزئية و غير مكتملة، و هذا

شئ طبيعي، فهي خطوة تأتي في سياق أشمل، سبقني إليها كتاب فلسطينيون وعرب و غير عرب.

و مع ذلك يبقى الحكيم تجربة مفتوحة على مزيد من البحث والتعمق وهنا يهمني أن أشير إلى مسألة أساسية لعبت دور القوة الدافعة لكتابة هذه المقالة، فأنا بصراحة لم أقصد من ورائها البعد التوثيقي في تجربتي مع الحكيم بالمعنى العلمي للكلمة، إنما هي ومضات كثيفة في التجربة و في العلاقة المباشرة...

أما الهدف العميق من ورائها، فهو يتعلق باللحظة الراهنة، و بالواقع و الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية .

الحكيم و بكل معنى الكلمة هو ظاهرة، و الظاهرة دائما تختلف الآراء حين مقاربتها سواء في وجودها أو بعد رحيلها، والاختلاف هنا محكوم بطبيعة الحال بالزواية التي ينظر منها الإنسان الذي يحاول أن يستجلي أبعاد تلك الظاهرة، بالإضافة إلى المنطلقات و الأهداف التي تقف وراء عملية التقييم أو القراءة...

بهذا المعنى هناك من يرى أو يصف الحكيم بأنه قائد وسياسي متشدد و لا يتعامل بواقعية مع الأحداث و حركة الواقع و تحدياته، بل هو أقرب للرجل الحالم كما يعتقدون وفق مقاربتهم السياسية...

فهل كان الحكيم حقا هكذا، أم هو في العمق و في الجوهر كان و بقي ثورياً واقعياً بامتياز !؟

التعامل مع هذا السؤال الأساسي، يستدعي المرونة و الشمولية في متابعة تجربة الحكيم الممتدة على مساحة حياته كلها، و التحرك بحيوية بين مواقف الحكيم و ممارسته ثم العودة للواقع السياسي و الاجتماعي الراهن و المقارنة، و أحيانا الذهاب لما هو أبعد من الرصد السياسي و الفكري و العملي في تجربته، أي الذهاب لبعض السمات والزوايا العميقة في شخصية الحكيم و بنيته الاجتماعية و المعرفية، و ربطها بحركة الواقع.

هنا أجد من الواجب و الضرورة التنويه إلى المسألة المنهجية التالية: وهي أن كل ما سيأتي في سياق هذا المقال بخصوص تجربة الحكيم، يجب ألا تجري مقاربته و التعامل معه و كأنه مسألة شخصية خاصة بالحكيم، بل إنها قضايا هي بمجملها نتاج تفاعل الحكيم في سياق تجربته كقائد و مؤسس لحركة القوميين العرب و لاحقا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين...

بهذا المعنى فإنها مواقف و ممارسة و رؤية لم تسقط على الحكيم من السماء أو من الفراغ، بل جاءت في إطار التفاعل العميق الذي قاده الحكيم في جسم الجبهة الشعبية على امتداد الزمان و التحديات...

و بهذا المعنى أيضا، فإنها نتاج جهد و تفاعل جمعي عام في المحصلة النهائية، سلباً أو إيجاباً، فروعة و قيمة الحكيم أنه بن التجربة و النضال وقائده، فلم يكن يمارس السياسة و الإبداع الفكري من موقع المتفرج يوماً كما يجدر التنويه أيضا، إلى أن الهدف من هذه المقاربة ليس تقديس شخص الحكيم، كما ليس رفعه ليغدو فوق النقد...

فهو في كل الأحوال إنسان ، و الأنسان يخطئ بالضرورة، فكل تجربة و مهما كانت مدهشة إلا أنها تحمل معها أيضا أخطاءها...

و بعض تلك الأخطاء قد يعود للتقديرات الذاتية، فيما يعود بعضها الآخر لتأثيرات الظروف الموضوعية و التباسات المواجهة.

إذن، بالتأكيد، هناك أخطاء رافقت تجربة الحكيم، غير أنها تبقى أخطاء القائد الشجاع المندمج بكليته في النضال، و ليست أخطاء الهبوط أو الأنانية الذاتية الضيقة، إنها جزء أصيل من استحقاقات الصراع الضاري الذي كان الحكيم و حتى اللحظة الأخيرة في بؤرته الحارقة.

أن تقترب من الحكيم، و أن تعايشه، و تعمل معه، و أن تناضل وقتاً طويلا في التنظيم الذي يقوده هو فرصة نادرة للتعلم، و في ذات الوقت مهمة صعبة، إنها فرصة نادرة من زاوية التفاعل مع شخصية محورية لها تجربة عريقة كما الحكيم، شخصية تختزن ثروة من المعرفة، و ثروة من التجارب، كما تستند إلى أبعاد متداخلة بما يشكل حالة فريدة من القادة السياسيين الذين يتركون تأثيرا عميقاً على كل من يقترب منهم.

فالحكيم بكُلِّيته تجربة مميزة جداً، إنه الرجل الذي كان يدرك بوعيه و انتمائه و حدسه و صدقه معنى أن يكون قائداً فلسطينياً عروبياً، كما كان يدرك أن من يتقدم ليرفع راية فلسطين و شعبها عليه أن يعرف مسبقا أنه مطالب بأن يتجاوز العادي تماماً، عليه أن يصعد المنحدرات الصعبة، و أن يواجه التحديات القاسية التي تطرحها القضية الفلسطينية، عليه أن يملك

الوعي و الإرادة و العناد لكي يتجاوز المصائد و الالتباسات و الإغراءات، بحيث يبقى في الأعالي واضحاً و حاسماً، بهياً و فاعلاً.

كان الحكيم يدرك و يعي جيداً خياره بأن يكون ثائراً فلسطينياً عربياً وأمميا، فهو لم يذهب لهذا الخيار بقلب مرتبك، أو في سياق أحلام وردية أو انتهازية، لقد ذهب إلى هناك و هو يعرف أنه يقف أمام حقل شاسع من الألم و الدماء و القهر و التضحيات و الطموحات و الأهداف النبيلة، فقد اكتوى هو شخصيا بتلك الآلام، و كان شاهداً حياً عليها، كما كان يدرك أيضاً أنه يخوض في واقع تحكمه موازين قوى مجافية و صعبة داخلياً وعربياً وعالمياً، و بالتالي فإن أقل ثمن قد يترتب على هكذا خيار مصيري،هو حياة الإنسان ذاتها، و مع ذلك لم يتردد.

لهذا قلت أن من يعمل مع الحكيم أو بالقرب منه، فإنه حكماً يخوض تجربة فريدة و حاسمة، و لن يخرج منها كما دخلها أبداً.

لكن، و في ذات اللحظة هي مهمة صعبة وخطرة، و لا أقصد هنا أثقال و مخاطرالعمل النضالي اليومي، بل أقصد البعد الذاتي في التجربة، فالحكيم بحضوره و تاريخه و تجربته و وعيه و سماته الشخصية المؤثرة من السهولة أن يحتوي" كل من يقترب منه، و أن "يهيمن" ربما على وعيه.

إنه يغمر كل من يدخل في دائرة شخصيته بحضوره و تأثيره، لا يتقصد ذلك، بل هي شخصيته المؤثرة بطبيعتها هكذا، شخصية تترك و دون استئذان تأثيرها على كل من يحيط بها هو تأثير الحكيم بوضوحه، بهدوئه،

بوفائه، بعاطفته بحركة جسده، بنبرة صوته، بقدرته على الإصغاء، بدموعه أحياناً و بضحكته الصافية أحياناً أخرى...

و أيضا من خلال اهتمامه بالتفاصيل كما اهتمامه بالقضايا الكبرى، بغضبه، و بقدرته في لحظة ما على أن يضرب الطاولة بقبضته، و فوق كل ذلك استعداده الدائم للعطاء و العمل بلا حدود.

فالنضال بالنسبة له ليس نزهة أو امتيازات أو مظاهر، بل إنه كان يكره بطبعه المظاهر، فهو متواضع بحكمة و رصانة، تستفزه الشكليات الفارغة من المضمون، بل و كان يستفزه جداً أن يهتف الناس و الرفاق باسمه و ليس باسم فلسطين فيغضب و يحتد و يرفض هو كل هذا و لهذا من السهل أن يعيد تشكيل من يقترب منه، إنه يشبه بؤرة جاذبة، لها مجال طاقتها الفاعل باستمرار، فهي تجذب الإنسان إليها بصورة عفوية، بل و بنوع من بهجة، فأن تكون بقرب الحكيم هي ذاتها بهجة، حتى و إن أثقلك بالمهام و المسؤوليات.

لهذا، قلت له يوم طلب مني أن أعمل معه في أواسط ثمانينات القرن الماضي: يا حكيم شرف و فرصة لي أن أعمل معك، و لكن لي شرط واحد، و هو أن يكون ذلك فقط لعام واحد!

نظر إلي بدهشة و ابتسامة "ماكرة" و قال: هل من الممكن أن تقول لي السبب؟

قلت: لأنني إذا بقيت بجانبك أكثر من ذلك فلن أعود أنا أنا، و لا أريد أن أكون غير نفسي!.

أذكر أنه ضحك بصدق و قال: حسناً، لك ذلك، إنك ماكر يا رفيق... و مع ذلك فقد عملت معه لسنوات أكثر.

و لكنني و بوعي منه و مني جرى الحفاظ على المسافات بوضوح و بمنتهى الأناقة و الصدق و الحرارة.

كان الحكيم يدرك كل ذلك و يعيه، فهو من الأشخاص و القادة النادرين الذين

يصعب أن ترفض لهم طلباً.

ذلك لأنك تعرف في أعماقك كمناضل أنه لا يطلب شيئا لنفسه، بل لقضية كبرى هي قضية شعب و أمة بكاملها.

بهذا المعنى كانت الأخلاق و الصدق عند الحكيم يعادلان الثورة، و الأخلاق هنا تتجاوز المعنى الضيق لتصبح مبدءاً سياسياً و سلوكياً، فالحكيم بقدر ما هو ذكي، و بقدر ما يرى الواقع و يتابع التناقضات الداخلية، إلا أنه ليس عقلية تآمرية ضد رفاقه، قد يكون له رأي في هذا الرفيق أو ذاك، لكنه واضح في ذلك...

وعادة ما يقرأ الناس والخيارات من جانب سياسي و أخلاقي و نضالي، و ليس من زاوية الولاء الشخصي له، لهذا لا يمكن أن تجد في تاريخ الحكيم الممتد من يكرهه أو لا يحترمه، أو يتطاول عليه شخصياً...

قد يختلف المرء معه سياسياً و فكرياً، غير أن هذا الاختلاف لا يتجاوز مطلقا نحو المساس بالحكيم شخصيا.

الحكيم مزيج مدهش من الثوري المثقف، و الطبيب المسيحي الأرثوذوكسي الفلسطيني، و الماركسي التقدمي، و فوق كل ذلك هو القومي المعتد بقوميته العربية و لغته و فضائه الثقافي الإسلامي و حضارته الممتدة في التاريخ و أذكر جيداً كيف كان يدقق اللغة العربية كلمة كلمة في كل ما سيصدر باسمه من تصريحات أو مقالات، من حيث القواعد و الإملاء، فكان يلفت نظري لذلك قائلا: لا أقبل كقومي عربي أن أخطئ في لغتي.

لم يكن الحكيم يساوم على أي من هذه الأبعاد في تكوينه أو يتنازل عنها، فهي بمجملها و في سياق التزامه بها من أعطى شخصية الحكيم هذا الحضور و هذا الإبهار المستند إلى روح قتالية حاسمة و شجاعة، فهو رقيق عنيد و متسامح بصدق، يغضب و يتحدى، يكره الخداع و الكذب و عاطفي و لا يساوم على البديهيات...

و لعل هذه السمات قد امتدت لتترك آثارها على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بكاملها، التي أخذت في سلوكها بعضاً من سمات الحكيم الشخصية...

قد يختلف الكثيرون معها و قد تثير غضبهم، و قد تستفزهم، و مع ذلك يدرك الجميع أن الجبهة الشعبية تبقى صادقة و لا تتخذ موقفاً سياسياً من منطلق المناكفة بل لأنها تؤمن بذلك.

لقد كانت تجربتي الشخصية مع الحكيم مدهشة بكل المقاييس ...

كان لقائي الأول معه، وبشكل مباشر و شخصي، أثناء حصار بيروت عام 1982، و بعدها تواصلت اللقاءات و الحوارات فتعرفت أكثر على أعماقه و خوافيه و بنيته الفكرية و السياسية، تعرفت على نمط حياته، و قلقه، و الأسئلة العميقة التي تدور في داخله...

لقد كانت أياماً وساعات من النقاش في كل الأبعاد، وعلى مدار سنوات. من أجمل السمات المنهجية التي لفتت نظري عند الحكيم، أنه كان يحترم الأسئلة، فقد كان يواصل طرح الأسئلة حتى النهاية.

كان يصغي جيداً و لكن لم يكن من السهولة بمكان أن يهز أحد قناعاته و مواقفه الأساسية.

فالمرء يحتاج طاقة غير عادية و لمنطق سياسي محكم كي يؤثر في ركائز مواقفه، و هذا لا يعني أنه منغلق، بل كان حذراً جداً من أن ينتهك التكتيك و إسقاطات اللحظة على الاستراتيجيا، لهذا كان يدقق جيداً في كل كلمة و يأخذ وقته في التفكير و التأمل.

و هنا قد يطرح سؤال منهجي، و هو: ألم يكن الحكيم بوعيه و دقته تلك يدرك الصعوبات و التناقضات التي يواجهها في داخل التظيم، فلماذا كان أحيانا يبدو متردداً تجاه التغيير؟.

لاحقاً فهمت البعد الذي كان ينطلق منه الحكيم في التعامل مع تلك التناقضات الداخلية، حين شرح ذلك بنفسه في إحدى الحوارات قائلا: التغيير ليس رغبة ذاتية، فلا أريد أن نندفع تحت وقع شعارات تبدو صحيحة لنجد أنفسنا لاحقا في مغامرة مدمرة تعصف بما لدينا، علينا أولاً

أن نعي البنى التي تواجهنا و التي نحن جزء منها، ذلك لأننا و نحن نمارس التغيير فإننا نخوض في الثورة و أي خطأ أو تسرع يعني دما، و لهذا كانت لديه حساسية هائلة تجاه الانشقاقات...

ودائما ما كان يذكر و بألم تجربة اليمن، و كيف عصفت الإدارة الخاطئة للتناقضات بوحدة الحزب الإشتراكي اليمني، و قبلها لم تفارقه معضلة الانشقاق عام 1969 (خروج الجبهة الديمقراطية)...

لقد كانت تجاربه مع الانشقاقات مؤلمة، و هو الذي كان يحاول مع رفاقه أن يقود حركة القوميين العرب، و ينتقل بها نحو الفكر الماركسي العلمي الواضح و الدقيق.

في إحدى النقاشات الخاصة قلت معلقا: يا حكيم يجب اتخاذ خطوات حاسمة تجاه أي عضو قيادي أو أي بنية تنظيمية يشكلان عائقا أمام التغيير والتجديد، يجب الحسم...

كان ينظر صامتاً ثم يقول: أنت لا زلت شاباً، و لم تجرب خطورة الانشقاقات و ويلاتها داخل التنظيم.

ما أريد قوله أن الحكيم و بالرغم من عاطفته إلا أنه كان يتمتع بحدس علمي رائع و إحساس عميق بالمسؤولية، و هذا الحدس نضج و تبلور منذ أن كان طالبا متفوقاً في كلية الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت...

وهنا لا بأس بحادثة رواها مباشرة، فهي توضح أشياء كثيرة في كيفية تفكير الحكيم و استعداده الدائم للتعلم...

يقول الحكيم:

حين كنت أدرس في كلية الطب، طلب منا بروفيسور أمريكي أن نجري تجربة كيميائية في المختبر، و أن نقدم تقريراً عن نتائج التجربة، و فعلاً قمنا كطلاب بذلك، و كتبت تقريراً بالتجربة قلت فيه: من تفاعل المادة "س" مع المادة "ص" نتج لدينا راسب لونه كذا، و تصاعد غاز لونه أبيض إلخ... و حين قرأ البروفيسور التقرير، نظر إلي و قال: هذا تقرير غير علمي وغير دقيق، لقد دهشت، فأنا واثق جيداً من دقة التجربة و النتائج و من دقة التقرير فسألت أين الخطأ؟

قال الدكتور: في التقرير العلمي عليك أن تشير يا جورج إلى تاريخ وساعة إجراء التجربة، و درجة الحرارة في المختبر و كذلك الضغط الجوي في تلك اللحظة.

بمعنى أن هذه التجربة جرت في ظروف محددة فكانت نتائجها كما جاءت عليه، فماذا لو تغيرت الظروف على ذات التجربة...؟

فعلا- قال الحكيم: لقد تعلمت درساً ذكياً في التفكير العلمي الذي لا يترك شيئا للصدف.

إذن لكي نعي و نفهم الحكيم بصورة أكثر عمقاً، علينا أن نعي سياقاته و ركائز شخصيته و وعيه، و الأهم أن نتابع ردود فعله و سلوكه في المحطات الحاسمة و اللحظات الصعبة.

فالحكيم لم يكن مجرد قائد فلسطيني ثوري، بل كان أيضاً و في نفس الدرجة قائداً ثورياً عربياً.

لم تقف تجربته و فعله عند قضية فلسطين فقط، بل امتد دوره إلى العالم العربي، و قد تجلى ذلك في تجربة تأسيسه و قيادته لحركة القوميين العرب و بعدها بسنين تجربة بناء حزب العمل الاشتراكي العربي، الذي لم يصمد طويلاً و ذلك بحكم صعوبة شروط تحقيق هذا الحزب العربي.

إلا أن الفكرة تعكس الاهتمام المركزي للبعد القومي في فكر الحكيم و بنيته السياسية...

و في السياق تأتي أيضا تجربة الحزب الإشتراكي اليمني التي كان الحكيم يشكل دائما مرجعية حاسمة لها من خلال إسهامه في توجيهها و وعي تناقضاتها، و يعرف الكثيرون كم بذل من جهد و وقت و تفكير و هو يحاول رأب الصدع بين الأطراف المتناقضة في الحزب الاشتراكي اليمني عندما عصفت به التناقضات الداخلية.

في سياق هذه الصيرورة تحددت ثوابت الحكيم و ركائز شخصيته العميقة و المؤثرة، فهو قائد نضج في براكين الواقع، وعلى حد قوله: أنا صنعتني التجربة، لست منظراً أكاديميا أو مدرّساً، النظرية عندي هي تفاعل مع الواقع و ليس فوقه، هي ضرورة للفعل الثوري أثناء حركته و ليس مجرد مقولات جامدة.

بمعنى أن الوعي النظري تبلور و تطور عند الحكيم من خلال الممارسة الثورية و ليس من خارجها، فقد كان يواجه أسئلة الواقع بالعودة لدراسة النظريات الثورية و التجارب الثورية ثم يقوم بقراءة الواقع الفلسطيني بناء على الدروس المستفادة من تلك التجارب.

و مع أنه قرأ الفكر الماركسي و استرشد به، غير أن اللافت في كتابات الحكيم و خطاباته، و بالرغم من أنه كان يستخدم الأسس و القوانين الموضوعية للماركسية في التحليل، إلا أنه لم يلجأ إلى اللغة و الخطاب الماركسي المعقد،

كان يدرك أنه يتوجه بخطابه للجماهير الفلسطينية و العربية، و بالتالي كان يقدم الفكر التقدمي بسهولة و بساطة و بلغة مفهومة

" عندما كان يُطلب مني صياغة فكرة ما ،اكتبها بلغة قوية ولكن مفهومة تذكر، هدفي هو أن يفهم الناس ماذا يقول الحكيم.. و ليس أنت فقط. "

إنه بهذا المعنى لم يكن يُسقِط النظرية على الواقع، بل كان يستخدم الفكر العلمي لوعي الواقع بصورة أكثر عمقاً.

و من السمات الأهم في تجربة الحكيم النضالية و النظرية، أنه لم يسقط في التوصيفات النظرية الجاهزة أو الجامدة، و لهذا فإنه و بالرغم من أن معظم الأحزاب الشيوعية العربية الكلاسيكية كانت تردد مواقف الحزب الشيوعي السوفييتي تجاه العديد من القضايا المفصلية، كالموقف من المسألة القومية و الأمة و الكفاح المسلح و إسرائيل، إلا أنه بقي ملتزما بثوابته تجاه هذه المسائل، و هو ما وضع الجبهة الشعبية و لفترة طويلة في حالة تناقض مع الاتحاد السوفييتي..

بل و لم يكن يتردد أمام الاستفادة من التجربة الصينية و الاستشهاد بكتابات ماو تسي تونغ رغم معرفته بحساسية هذا الموضوع عند الأحزاب الشيوعية العربية و عند الاتحاد السوفييتي آنذاك.

لقد كان الحكيم شديد الاهتمام و بصورة خاصة بتجارب حركات التحرر العالمية كتجربة ثوار الفيتكونغ و شخصية هوشي منه الفذة في فيتنام، و تجربة كاسترو و تشي جيفارا في الثورة الكوبية، إلى جانب حركات التحرر في أمريكا اللاتينية و آسيا و إفريقيا..

هذا الأعجاب وهذا الاهتمام لم يكونا عفويين، بل لأنه يؤمن أن تلك التجارب التحررية هي أكثر فائدة و جدوى للنضال التحرري الفلسطيني من الخوض في نقاشات تتعلق مثلا ببناء الدولة في المنظومة الإشتراكية، لأن تلك التجارب التحررية تتقاطع من حيث الواقع و الأهداف أكثر مع واقع حال الشعب الفلسطيني و التحديات التي تواجهه.

فالحكيم بقدر ما كان يمتاز بوعي عميق و إلى جانب كونه قارئاً مثابراً، فهو أيضا كان سيد الحوار و النقاش، و يجيد الاستماع لذوي الاختصاص في العديد من القضايا، كالمسائل الاقتصادية أو الدولية أو الخاصة بالتجربة الصهيونية .

في ضوء مجمل ما تقدم من إضاءات يمكن القول و بثقة عالية، أن الحكيم يمثل نموذجاً ساطعاً على جدل الوعي والممارسة، مع حيوية واستعداد لتطوير الفكرة والموقف و الممارسة و الأهم حماية كل ذلك من الإنحراف عن الأسس الوطنية الراسخة.

في هذا السياق المتحرك من النضوج النظري و السياسي و العملي في شخصية و تجربة الحكيم الممتدة، اغتنت ثوابته و قناعاته بصورة عميقة و مقنعة و أصبحت أكثر رسوخا.

من هنا تأتي أهمية إعادة التذكير بتلك الثوابت و بهذا نعطي لذكرى الحكيم قيمة عملية و ليس فقط وجدانية عاطفية.

أهم و أول تلك الثوابت الراسخة أن قضية فلسطين و مهما كانت الظروف، ومهما بدا الواقع العربي سيئاً ومعاكساً تبقى قضية الأمة العربية المركزية، و لهذا كان يرفض شعار يا وحدنا و هذه المسألة تعود إلى ثابته الأصل أي انتماؤه القومي العربي...

فخطورة احتلال فلسطين كما هي في وعي الحكيم العميق، لا تنبع وفق قناعته الراسخة من خسارة فلسطين -على خطورة ذلك- بل لأنه يعي أن الهدف الأعمق و الأخطر تاريخياً من وراء اغتصاب فلسطين هو الهيمنة على العالم العربي و تمزيقه و نهبه، و قد كان يلح و يعبر عن ذلك في خطاباته و كتاباته و أحاديثه بصورة لا تقبل الغموض: فالكيان الصهيوني هو بمثابة سرطان في جسد الأمة العربية، و احتلال فلسطين هو مجرد رأس جسر للسيطرة على تلك الأمة، و بالتالي فالمشروع الصهيوني هو مشروع استعماري من أوله إلى منتهاه، وعليه فإن مواجهته هي مسؤولية الأمة، و انطلاقا من ذلك فإن هدف توحيد الأمة العربية بقي ثابتاً لا يتزحزح في فكر الحكيم.

انطلاقا من هذا الثابت فإن الحكيم لم يكن يقارب أي قضية عربية من منطلق انتهازي أو استعمالي، بل من كون كل قضايا الأمة العربية هي قضاياه، هكذا تقاطعت الثوابت القومية في فكر الحكيم و ممارسته السياسية مع ثوابته الوطنية الفلسطينية، دون أن يشكل ذلك أي تناقض لديه، و كل

ذلك كان يتقاطع مع ثوابته الأممية، انطلاقا من أن مواجهة الاستعمار و قوى الاستغلال الطبقية (كدول و قوى اجتماعية و رجعية عربية وعالمية) ، و بالتالي فإن قضية فلسطين هي قضية وطنية قومية، أممية و إنسانية في ذات اللحظة... بناء على كل ذلك كان يحدد الحكيم مواقفه دون التباس.

ثابت آخر في فكر الحكيم، هو وعيه العميق لمضمون المشروع الصهيوني و أهدافه، باعتباره مشروعاً استعمارياً من الدرجة الأولى، و لهذا كان يشير دائما إلى أن اليهود العرب و يهود العالم هم مجرد وقود في هذا المشروع الاستعماري و بالتالي فهو لم يتخذ من اليهود موقفاً عدائياً بسبب دينهم، بل كان يؤكد و باستمرار على ضرورة التمييز بين الحركة الصهيونية و بين اليهود...

و لهذا كان يرى أن على حركة المقاومة الفلسطينية أن تكون واضحة في منطلقاتها تجاه هذه المسألة التي لعبت عليها الحركة الصهيونية ببراعة لتصور مقاومة الأمة العربية و الثورة الفلسطينية و كأنها فعل عنصري و شوفيني ضد اليهود.

بهذا الوعي السياسي و الإنساني العميق تجاوز الحكيم الفكر العنصري أو الديني أو الشوفيني القومي المتطرف، ليعطي للمقاومة الفلسطينية عمقاً إنسانياً و أخلاقياً مدهشاً.

أما الركيزة الأخرى في فكر الحكيم و ممارسته، فهي الوضوح الحاسم لمفهوم معسكر أعداء الثورة، فلم يحد أو يخطئ يوماً بهذا الشأن، كما لم تلتبس عليه الرؤية لحظة واحدة و هي أن "رأس الأفعى" على حد تعبيره

هي الإمبريالية الأمريكية، و أن العلاقة ما بين الإمبريالية و الصهيونية هي علاقة تناغم ما بين المركز و أدواته، و لهذا لم يكن يبالغ أو يخطئ في قراءة هذه المعادلة، كما أخطأ و لا يزال يخطئ الكثيرون في رؤيتها، بحيث يعلنون و بخفة أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم بها الصهيونية.

بالطبع لم يكن موقف الحكيم هذا اعتباطياً أو تجاهلاً، بل لأنه يدرك جيداً أنه من غير العلمي و الممكن أن يخضع مجتمع بقوة و تعقيدات المجتمع الأمريكي و منظومة الرأسمال العالمي لإرادة بعض مراكز القوى هنا أو هناك بما في ذلك اللوبي الصهيوني، كل ما في الأمر أن حركة اللوبي الصهيوني و تناقضاته تأتي في سياق مصالح و تناقضات النظام الرأسمالي العالمي و الطبقة المسيطرة، فهو أصلاً جزء منها، إذن هو دور لا يخرج و لا يتجاوز التناقضات الطبيعية داخل البيت الواحد، و بالتالي فإن دعم إسرائيل من قبل الولايات المتحدة و الدول الغربية لا يأتي و لا يتشكل كنتيجة لضغط اللوبيات الصهيونية بل لأن إسرائيل كانت و لا زالت تشكل جزءاً عضوياً من المنظومة الاستعمارية، فقط كل ما هنالك أن التناقض الثانوي بينهما يتعلق بحجم هذا الدعم و وقته و التخفيف من الضغوط على إسرائيل، بهدف إطلاق يدها بصورة أكثر حرية.

و بذات الوضوح الذي كان يرى فيه الحكيم دور الإمبريالية العالمية و حليفتها الصهيونية، فإنه أيضا كان يرى دور الرجعية العربية و جناحها الأكثر تخلفا المتمثل بالرجعية الريعية النفطية الخليجية، فهم برأيه مجرد أدوات و سماسرة لا أكثر، و لهذا لم يراهن يوماً على تلك الأنظمة، و لهذا

فإنه لم يسع لإقامة أي علاقة مع تلك الرجعية و لم يقاطعها من منطلق عاطفي بل من منطلق سياسي علمي، بل و كان يستغرب كل من ينتظر منها أو يراهن عليها لدعم الثورة الفلسطينية، و برأيه فإن هذا التناقض مع الرجعية هو من طبيعة الظاهرة، ذلك لأن تلك الرجعية وفق تحليله الطبقي العميق ستنحاز و بلا تردد إلى مصالحها الضيقة كقوى تابعة و خاضعة للرأسمال الإمبريالي العالمي...

و في الوقت الذي كانت فيه مواقف الحكيم واضحة من الرجعية العربية، إلا أنه لم يقطع مع الأنظمة الوطنية العربية، أو لنقل أنظمة البرجوازية العربية الوطنية و القومية، و بهذا المعنى كان يقول بأن العلاقة مع تلك الأنظمة تقوم على مبدأ الوحدة و الصراع، بمعنى نتفق و نتقارب معها ما دامت تتخذ مواقف مع النضال الفلسطيني و مصالح الأمة العربية، و حالما تنحو نحو مصالحها و تقترب من القوى الإمبريالية فسترتفع وتيرة التناقض معها، هذا ما تشهد عليه تجربة الجبهة مع الأنظمة العربية في كل من العراق و سورية و مصر و ليبيا.

في ذات السياق المتناغم و المنسجم يأتي موقف الحكيم تجاه العلاقة بالتنظيمات البرجوازية الفلسطينية، و خاصة حركة فتح، و هي علاقة يرى البعض أنها كانت ملتبسة و غير حاسمة.

من المهم و الضروري استجلاء المنطلقات العميقة التي كانت تحكم مقاربات الحكيم تجاه هذه المسألة.

لقد كان الحكيم يعي أن الثورة الفلسطينية تعبر عن نفسها كحركة تحرر وطني فلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني الاقتلاعي و التدميري بالمعنى السياسي و الجغرافي و الاجتماعي، مما يضع الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني في دائرة الاستهداف، و بالتالي فإن التعبيرات السياسية و التنظيمية عن تلك الغالبية ستكون في معظم الأوقات و المراحل جزءاً من الثورة، بل و كان يرى في بعض اللحظات أن القيادة الرسمية حتى لوغامرت تجاه بعض الخيارات السياسية الخاطئة فإنها ستجد نفسها عاجلاً أو آجلاً في حالة تناقض حتى مع غالبية قواعدها الشعبية الوطنية، مما سيعيدها من جديد إلى الموقف الوطني السليم.

زاد من حساسية و تعقيد هذا الأمر مفهوم الوحدة الوطنية كشرط من شروط صمود حركة التحرر الوطني الفلسطيني و انتصارها، حيث بقي التناقض مع تلك القيادة الرسمية محكوماً بسقف الوحدة الوطنية، و لكنه لم يصل إلى لحظة القطع النهائي التي لا عودة عنها، فالحكيم كان دائماً مشدوداً للتناقض الرئيسي مع الاحتلال، الذي سيعيد تصويب الانحرافات السياسية في صفوف قوى حركة التحرر الوطني الفلسطيني إلى وضعها السليم.

قد نجادل كثيراً في هذا الشأن، و لكن من الضروري الانتباه إلى أن القيادة و البنى و الظروف التي نتحدث عنها ليست هي ذاتها اليوم، هذا ناهيك عن مسألة أساسية لا يجوز أن تغيب عن بال أحد بتاتاً و هي أن الحكيم و رغم كل طاقته و وزنه و تأثيره، إلا أنه كان يحتكم في النهاية لقرارات هيئات الجبهة التنظيمية (المؤتمر الوطني، اللجنة المركزية و المكتب السياسي)

وهي أجسام حيوية فيها آراء و اجتهادات، و لم يكن من النادر أن تتخذ تلك الهيئات بعض المواقف و بعض التوجهات ضد ما يراه الحكيم، أرجو فهم هذه النقطة جيداً، فليس الهدف منها القول أن الحكيم كان دائماً على صواب و الهيئات على خطأ بل الهدف الإشارة إلى الديناميات التي كانت تحكم هيئات الجبهة و ديناميات اتخاذ القرار فيها بغض النظر عن صوابية أو خطأ الموقف قيد النقاش في هذه المرحلة أو تلك.

في سياق كل ما تقدم يمكن فهم و إدراك الثابت الآخر الذي اتسمت به مواقف الحكيم و الجبهة الشعبية، و هو القناعة الراسخة بممارسة كل أشكال النضال فلم يتنازل الحكيم أو الجبهة يوماً، عن حق الشعب الفلسطيني في ممارسة كافة اشكال النضال من أجل تحرير فلسطين، و فلسطين هنا تعني كل فلسطين.

فحتى مع الموافقة على برنامج النقاط العشر (المرحلية في النضال) ، كانت قناعة الحكيم أنه مجرد برناج مرحلي، و أن الجسر الرابط بين الأهداف التكتيكية المرحلية و الأهداف الاستراتيجية بتحرير كل فلسطين هي قضية اللاجئن الفلسطينيين، التي هي جوهر الصراع الفلسطيني العربي الصهيوني.

و بالتالي فإن طبيعة المشروع الصهيوني و دمويته لن تترك مجالاً لحلول جزئية.

هذا هو الحكيم، حكيم فلسطين الذي لم يغادر بديهيات شعبه وقضيته.

كانت بوصلته ترتكز دوماً إلى الوعي و إلى الثقة بالناس، فكانت رؤيته عميقة جداً، شمولية و منهجية، و حين يخاطب الناس كان يخاطبهم من موقع الاحترام و بهدف تعميق الوعي و الموقف، و هو بقدر ما كان محرضاً بارعاً في أسلوبه الخطابي فقد كان في العمق داعيةً بارعاً أيضاً.

لهذا كانت خطاباته باستمرار محطات للنقد و التقييم و التحليل و التوجيه، سواء على مستوى الجبهة الشعبية أو على المستوى الوطني، فقد كان يرفض أن يخاطب الناس بصورة عشوائية أو عاطفية أو غوغائية. بل كان يستعرض الحقائق و يحلل و يوضح و يجادل بهدف الإقناع.

في كل الأحوال و الظروف كانت ثقته بالجماهير الفلسطينية و العربية مطلقة

لقد كان شديد الإيمان بتلك الجماهير، حتى و هي في طور الكمون، و بهذا المعنى لم ير الحكيم يوماً في أي حزب أو تنظيم بديلاً عن الناس، فالناس هم فرس الرهان و وقود الثورة و هم قوة التغيير الحاسمة التي لا تتخلى عن ثوابتها حتى و إن التبست عليها المواقف في بعض المراحل، و في هذا السياق كان يرى في النقد سلاحا للتجديد و التطوير و التصويب السياسي و التنظيمي و السلوكي.

في غمرة كل هذه المسؤوليات القيادية و التحديات و الحروب و المواجهات التي مرت بها الثورة الفلسطينية، لم يفقد الحكيم رباطة جأشه أبداً، كما لم يتخل عن أبعاده الإنسانية و الأخلاقية، فلم يكن يخجل من إظهار عاطفته

العميقة و الإنسانية سواء تجاه زوجته أو أسرته أو رفاقه أو أصدقائه فهذا الأمر بالنسبة له ينسجم تماما مع روح الثائر الحقيقي.

وهذا يذكرني بتلك النقاشات التي سبقت انشقاق الجبهة الشعبية عام 1969، و التي تمحورت حول إمكانية تحول تنظيم قومي برجوازي إلى تنظيم ديقراطي ثوري ماركسي، حيث حملت المجموعة التي تبنت الانشقاق فكرة أن التظيم الناشئ يجب أن يتخلص من العناصر اليمينية التي كانت تقود حركة القوميين العرب و منهم على سبيل المثال الشهداء (أبو علي مصطفى، وديع حداد، وأحمد اليماني أبوماهر) ، و ذلك لأنه وفقاً لمنطق الفريق الذي قاد الانشقاق، لا إمكانية واقعية لتحول هؤلاء إلى ثوريين ماركسيين.

يومها وقف الحكيم وغيره من الرفاق بكل قوة وصلابة وعزم ضد هذا المنطق و الموقف و قال متسائلا: و لكن هؤلاء هم الذين ناضلوا و قاوموا ، فمعظم جسم حركة القوميين العرب هو من أمثال هؤلاء الرجال، فمن سيبقى بعدهم ليشكل الحزب الثوري و يضحي من أجل الثورة !؟.

كان الحكيم يعرف عجينة هؤلاء الرجال جيداً، فقد خبرهم في الظروف القاسية حين كانت تبدو كل الآفاق مغلقة و صعبة، و مع ذلك كانوا لا يغادرون خط الواجب و يقاتلون حتى النهاية.

في هذا السياق، من المفيد إيراد حادثة ذات دلالة ومعنى...

في أحد مؤتمرات الجبهة التنظيمية جرى نقاش حاد حول قضية محورية ... و بالصدفة كان الحكيم يقف في جانب و الشهيد أبو علي مصطفى يقف في جانب آخر...

أثارت القضية حالة نقاش عاصفة ترافقت مع حالة استقطاب حادة، و في النهاية جرى التصويت، فرجحت كفة وجهة النظر التي يؤيدها الحكيم بفارق صوت واحد فقط، فصفق الطرف الذي أيد ذلك ابتهاجاً، مما استفز أبو علي مصطفى فخرج غاضباً من قاعة المؤتمر و هو يقول بأنه لن يعود و سيتخلى عن كل شئ...

أثار هذا الأمر حالة من القلق الشديد في أوساط الحاضرين، فأبو علي مصطفى ليس شخصاً عادياً، فهو نائب الأمين العام (آنذاك)، القائد الشجاع و العنيد و المحبوب من كل أعضاء الجبهة.

أذكر وقتها أنني اقتربت من الحكيم و قلت متسائلا ما الذي سيحدث؟ لقد خرج أبو علي و هو غاضب، أذكر جيداً كيف ابتسم الحكيم بهدوئه و قال لي: لا تخف، أنا أعرف رفيقي أبو علي أفضل منكم، غداً سيكون هنا، فعلاً في اليوم التالي كان أبو علي أول الحاضرين، فحيا الجميع ثم قدم اعتذاره و تابع قيادة أعمال المؤتمر و كأن شيئا لم يكن.

هؤلاء هم الرجال الكبار، هذا هو الحكيم الذي يعرف جيداً رفاقه الذين وقفوا و يقفون إلى جانبه في سنوات النضال الطويل.

الآن، و بعد هذا الاستعراض المكثف الذي ليس بالتأكيد شاملاً و نموذجياً، نعود إلى السؤال الأساس الذي ابتدأت به هذا و هو: هل كان الحكيم كما

كان يصفه البعض قائداً و سياسياً متشدداً و عنيداً، و لا يتعامل "بواقعية" مع الأحداث و حركة الواقع و تحدياته و بالتالي فقد كان أقرب للرجل الحالم منه للسياسي الديناميكي، أم هو في العمق و في الجوهر كان و بقي ثورياً واقعياً بامتياز؟.

الإجابة على هذا السؤال ليس الهدف من ورائها إضافة مديح جديد للحكيم، بل الهدف هو راهن و عملي تماما.

الإجابة على السؤال لها علاقة عميقة بوعي و مقاربة الصراع و النضال الوطني الفلسطيني بالمعنى الاستراتيجي و الوقوف طويلا أمام ما انتهى إليه الآن.

فهل القوى التي وصفت الحكيم بالتشدد و بعدم الواقعية ، جاءت التجربة لتقول بأنها كانت محقة، و بأن "واقعيتها أو براغماتيتها" قد حققت للشعب الفلسطيني الحد الأدنى من حقوقه الوطنية؟.

أم أن الحكيم كان القائد الأكثر واقعية بالمعنى الثوري، بحكم وعيه العميق لطبيعة الصراع و طبيعة المشروع الصهيوني و طبيعة معسكر أعداء الثورة الفلسطينية بما لا يوفر أي هامش لحلول تنصف الشعب الفلسطيني؟

نظرة سريعة و كثيفة إلى ما آلت إليها تجربة اتفاقيات أوسلو تعطينا جواباً أكثر من واضح، فتعنت الاحتلال الصهيوني و إمعانه في القتل و نهب الأرض و تشريد الشعب الفلسطيني، و رفضه الإعتراف بالحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، و الدعم اللامحدود له من قبل القوى الإمبريالية العالمية و الرجعية العربية، و خاصة الرجعية الخليجية النفطية،

تظهر أن تقدير الحكيم و قراءته كانت واقعية بصورة مدهشة، و أن "الحالمون و اللاواقعيون" بالمعنى السلبي هم الذين راهنوا على تحقيق سلام وهمي مع مشروع استعماري من هذا النوع.

إن ما تقوم به الرجعية العربية و حلفاؤها الآن من تدمير لشعوب الأمة العربية و ما تنشره من ثقافة تجهيل و قتل و تمزيق يبرهن أن الحكيم كان يعي طبيعة هذه الرجعية، كما يعي أن الأمة العربية ستبقى مستهدفة بتاريخها و ثرواتها، و أن تحرير فلسطين يبقى قضية الأمة بكاملها.

أما البديل فهو بناء الذات و استعادة الثقة بالجماهير الفلسطينية و العربية، التي تثبت في كل مرة أنها الأقدر على النهوض و مواصلة النضال و تقديم التضحيات بلا حدود، و ما الانتفاضة الفلسطينية الراهنة إلى جانب مقاومة الشعوب العربية في مواجهة الاحتلال الصهيوني و مشاريع الهيمنة الإمبريالية و الرجعية في كل من فلسطين و سورية و اليمن و العراق و تونس وغيرها سوى ترجمة لروح الشعب الفلسطيني و الأمة العربية المقاومة. و بهذا المعنى فإن تلك الجماهير هي القادرة على إعادة النضال الوطني الفلسطيني إلى سياقه الصحيح كجزء من نضال الأمة العربية في سبيل تحررها من التبعية و وحدتها.

و كجزء من حركة التقدم في العالم ضد الهيمنة و الاستغلال و الاضهاد السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي.

هذا هو بعض مما يمثله حكيم الثورة بكل وضوحه و صلابته و حيويته و واقعيته و انتمائه و وفائه لشعبه و أمته العربية و أعماقه الإنسانية الراسخة.

"درستُ أنا و وديع القرآن، وقرأنا كتابات للينين، وعن الثورة الفرنسية وعن الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية، و دار نقاش حول الاشتراكية، و كانت أولويتنا فلسطين"

جورج حبش

الفصل الثاني

مساهمات و آراء

الفكر السياسي للحكيم جورج حبش

د. فايز رشيد

في ذكرى وفاته الجسدية، و هو الحي الذي يعيش فينا بشكل دائم، أرى أن من واجبي ككاتب و مثقف فلسطيني:

أولاً: وجوب إعطاء هذه القامة العملاقة جزءاً و لو قليلا من حقها علينا، و له علينا الكثير من الفضائل و الحقوق، و مهما كتبنا لن نفيه ما يستحقه، ثم إنني أحد رفاقه و تلامذته (مثل كل أعضاء الجبهة) ممن عاشوا عصر جورج حبش...

ثانياً: و لعلي أكون قد وفقت و لو قليلا.. أرجو ذلك.

بدايةً، لا بد من التطرق إلى صعوبة الفصل بين الفكر السياسي للحكيم و بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و مقارنته بفكر- سياسات آخرين-، فصائل أخرى و لو بلمحات موجزة ، ثم إلى صعوبة الفصل في تناول الجوانب السياسية و النظرية الفكرية و التنظيمية كلا على حدة، فهي جوانب متداخلة و يكمل كل منها الآخر، و إلى أهمية التطرق المختصر

لبعض الصيغ السياسية التي أنشأتها الجبهة في الرد على منعطفات سياسية حادة في الساحة الفلسطينية.

كذلك أرى من الضروري الإشارة إلى دور قيادات أخرى سواء في حركة القوميين العرب أو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في صياغة المبادىء الفكرية و السياسات المتبنّاة. و التأكيد على دور الحكيم جورج حبش في هذه الورقة لا يعني في مطلق الأحوال إنكار دور الآخرين .

.

لقد آمن الحكيم طيلة حياته بالديمقرواطية الحزبية، اعتناقا و ممارسة ، كما رفض بتواضع كبير أن ينسب لنفسه أية إنجازات للجبهة فهو من رواد "العمل الجماعي"، و ممن يقدر و يحترم جهود الآخرين، بالرغم من كل ما تقدم ظل موقف الحكيم و شخصه بمثابة البوصلة للجبهة، بدوره لطالما اهتدى في كل مواقفه لبوصلة الموقف الجماهيري.

إذا كان المبدأ الغورباتشوفي لتعريف السياسة: بأنها فن الممكن، فإن تعريفها عند جورج حبش**"بأنها فن صياغة الموقف الصحيح والسليم، المستند إلى فكر في التعامل مع الحدث".** المبدأ الأول(إضافة إلى عوامل أخرى مساعدة) كان سبباً في انهيار الاتحاد السوفياتي و دول المنظومة الاشتراكية بشكل عام لصالح الإمبريالية و الرأسمال المالي العالمي، و الثاني من خلال التزامه بصداقيته و مبدئيته تمكن من بناء تنظيمين: الأول

حركة القوميين العرب، التي أصبحت في مدة زمنية قصيرة نسبياً الحزب العربي الأبرز في الساحة العربية ، و الذي أضاء مشعلاً أمام الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج، والذي حقق انتصارات عديدة على الصعيد العربي برمته، الحزب الذي انطلق من رفض واقع الهزيمة المتمثلة في النكبة و تداعياتها، و لعل من أهمها، التحول الكبير في هوية الإنسان الفلسطيني من حالة اللاجئ المتصدّق عليه إلى حالة الهوية الوطنية المناضلة، من أجل استعادة أرضها وحقوق شعبها المغتصبة.

أما التنظيم الثاني فهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي شكلت في الساحة الفلسطينية نقلة نوعية جديدة على الأصعدة السياسية، الفكرية، التنظيمية، المسلكية، و التي جرى الإصطلاح على تسميتها فلسطينياً وعربياً بـ**(صمام أمان الثورة الفلسطينية)**، هذه النقلة التي ما كانت لتتم بمعزل عن جورج حبش مؤسس التنظيمين و الذي لعب دوراً ريادياً مركزياً في صياغة المواقف السياسية للتنظيمين على مدى تاريخهما.

قد تختلف الآراء في تعريف مقولة **(الفكر)** أولاً، و **(الفكر السياسي)** ثانياً، لكن القاسم المشترك بينها جميعاً يتوحد في النظرة إلى:

الفكر باعتباره إطاراً نظرياً شاملاً لدراسة و تصور ماضي و حاضر و مستقبل ظاهرة، و في الحالة السياسية ينطبق ذلك على ما نسميه بـ **(الفكر السياسي)**.

و الأخير بالضرورة يتناول و يشتمل قضايا كثيرة بما فيها الفلسفة، فهما يطرحان تصورات عن واقع سياسي جديد، لكنهما يختلفان عن مفهوم **(النظرية السياسة)** التي هي :مجرد حالة تفسيرية لواقع أو ظاهرة سياسية موجودة بالفعل.

بالتالي، فـ **(الفكر السياسي)** يطرح أسئلة عن الشكل و المضمون بمختلف جوانبه في دولة كانت أم في تنظيم، يحدد كيفية بلورة السلوك السياسي إزاءها، بما يتضمنه ذلك من نظريات يحملها في تفسير الواقع.

و الوحدة بين الفكر و الوجود ، هي الوحدة الأولية، التي تشكل الأساس الجوهري للعالم وفقاً لهيغيل.

و بإسناد التراث السياسي لجورج حبش منذ بداياته و حتى اللحظة لتعريف **(الفكر)** يتبين أنه **(فكر سياسي)** بامتياز، و ليس **(نظريات سياسية)** مسبقة الصنع، إنه إبداع حقيقي في تفسير الواقع أولاً، و تجييره في مواقف مستندة إلى خلفية نظرية في عملية تحول ديناميكي متطور، بعيداً عن الجمود و الصنمية، و القوالب السياسية الجاهزة، و هذا ما جعل الجبهة الشعبية ، في نظر الأمين العام الأسبق للحزب الشيوعي اللبناني المناضل المرحوم جورج حاوي، بأنها التنظيم الذي أعاد للماركسية وجهها المقاتل.

تختلف التعريفات أيضاً بالنسبة ل**(المفكر)**، لكنها تتفق جميعاً على تعريفه، **باعتباره من يملك رؤيةً نقدية للواقع ، و يحدد معالم المستقبل ، وفقاً لما**

يحمله من فكر نابع من التفكير الأصلي للإنسان، بالتالي فإن مهمته تتلخص في إحضار الوجود عن طريق صياغة الموقف.

و لعل كثيرين من المثقفين **يرون تلازمية التعريف السابق مع الصفات التي يتوجب توفرها في المفكر** مثل: حبه الشديد للمعرفة، و امتلاكه للنسيج الفكري الخاص به، و شعوره العالي بالمسؤولية إضافة إلى استقلاليته.

و إذا ما أرجعنا التراث الفكري لجورج حبش إلى التقييم و المواصفات السابقة، يتبين لدينا و بلا أدنى شك أنه **مفكر نظري و سياسي من طراز رفيع** ليس على المستوى الفلسطيني فحسب، و إنما بالمعنى العربي القومي، الذي لا يرى تناقضاً في الترابط بين الخصوصية الوطنية الفلسطينية و البعد القومي العربي، باعتبار هذه العلاقة العضوية جزءاً من تصور أممي للسمات العامة المشتركة لقضايا التحرر الوطني على صعيد الكرة الأرضية في عملية المجابهة لأعدائها و مغتصبي إرادتها، و الذين يمتلكون صفات عامة مشتركة فيما بينهم، و بالضرورة فإن ذلك لا يلغي الخصوصية في الجانبين لكل حركة تحرر وطني في ذاتها، و تجربتها أولاً و في خصوصية العدو الذي تواجهه من ناحية أخرى.

من هنا، و رغم تبني الجبهة الشعبية و جورج حبش على رأسها، للفكر اليساري التقدمي و الاهتداء بالنظرية الماركسية اللينينية، فإن ذلك لم يمنع جورج حبش و لا الجبهة الشعبية من صياغة المواقف السياسية المستندة

إلى إيمان عقيدي جذري ، مثل تحرير فلسطين كل فلسطين من النهر إلى البحر، بغض النظر عن تلاؤم هذه المواقف مع الأخرى الشبيهة لأباطرة اليسار في العالم، و لدهاقنة الماركسية اللينينية أيضاً.

بالتالي انفردت الجبهة الشعبية في تجربة خاصة بها عن تجربة اليسار بمختلف أسمائه في الساحة الفلسطينية، بعيداً عن انتهاج الموقف المسبق الصنع، و رضا هذه القوة أو غضب الأخرى، و ذلك في خصوصية اقتضاها الرد على خصوصية العدو و استثنائيته و خطره الكامن ليس على الصعيد الفلسطيني فحسب، و إنما على الصعيد العربي والدولي أيضاً.

و لذلك كان قرار الأمم المتحدة حول الصهيونية باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية و التمييز العنصري، و الكل يدرك طبيعة المتغيرات الدولية التي أدت الى إلغاء هذا القرار.

جورج حبش كمفكر من طراز رفيع امتلك القدرة على الحركة في الفكر السياسي في جوانب متعددة أبرزها:

الأول: المواءمة الدقيقة بين التكتيك السياسي، دعنا نقول الصياغة السياسية للموقف تجاه حدثٍ معين، و تماهيه مع الأهداف السياسية الاستراتيجية. صحيح أنه و عند محاكمة تجربة الجبهة الشعبية، فإنها تقع ضمن خط متطور صاعدٍ باستمرار، شهد بعضاً من التجارب في التراجعات، و في عدم الانسجام بين التكتيك السياسي و الهدف

الاستراتيجي، لكن الجبهة امتلكت الجرأة لتقف بشجاعة أمام أخطائها تلك، كبداية لمحطات تقييمية تجريها دوريا، و كانت تعود في معظمها إلى الموقف الصائب.

الثاني: إتقان فن الخروج من المنعطفات السياسية الحادة بصياغة موقف سياسي مرن لا يلغي الاستراتيجية المعتنقة، يتعاطى مع الواقع و معطياته، و لا يناقض الهدف الاستراتيجي بأي شكل من الأشكال. خير مثالٍ على ذلك هو الموقف من البرنامج المرحلي **(النقاط العشر في الدورة العاشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة)** حين طرحت الجبهة الموافقة مع التحفظ **(اعتباره برنامجيا مرحلياً ليس إلا، و ليس برنامجا استراتيجيا مثلما فهمه آخرون!)**على هذا البرنامج كموقف اعتراضي على ما يجري طرحه من حلول تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية.

الثالث: الموقف السياسي الواضح ذو النقاط المحددة حول القضايا المعنية دون قابليته للتأويل أو التفسير من قبل الآخر أو أية جهة كانت، و التشخيص الدقيق للواقع كمثل: الموقف من هزيمة الأنظمة العربية في حزيران عام 1967 و التي رأت فيها الجبهة هزيمة لبرامج هذه الأنظمة.

لقد تعودنا في الثورة الفلسطينية على صياغة مواقف سياسية معينة، يجري خرقها أو ممارسة النقيض منها بشكل متكامل، هذه الازدواجية، أفقدت أهم ما يتوجب أن يميز العلاقة بين القائد و الجماهير، المادة الأساسية للثورة، و

هي الثقة في أمانة هذا القائد السياسي أو ذاك، مع تداعيات ذلك وصولاً إلى ما يشبه أزمة الثقة فيه أو في الفصيل الثوري الذي يقوده.

الرابع: الإنشداد الدائم للوحدة الوطنية ، مع الفارق في المواقف السياسية بعيداً عن المراهقة السياسية، و المواقف التي تتخذ طابع ردود الفعل، بما تحمله من عناصر النزق.

و لطالما جرى انتقاد الدكتور جورج حبش و معه الجبهة الشعبية، بتغليب هذا الاشتراط الثوري في مرحلة التحرر الوطني وصولاً إلى الانتصار، على حساب إيجابية الطلاق النهائي مع اليمين.

واقع الانقسام الحالي و تداعياته الشديدة الخطر و التي أدت إلى تراجع المشروع الوطني، هي خير دليل على صحة ما نقول.

تميز جورج حبش بالنظرة الاستراتيجية البعيدة المدى في موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة القانون النظري وحدة، صراع، وحدة.

الخامس: المواقف السياسية التي اتخذها الحكيم و الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عموماً، تماهت مع المزاج الجماهيري الفلسطيني، هذا لا يعني انقياداً و احتكاماً لهذا المزاج، و لا يعني الشكل المطلق أيضاً، الظاهرة إن دلت على شيء فإنما على صوابية المواقف المتخذة من الحكيم والجبهة.

السادس: التحرك الديناميكي في صياغة الشعارات الاستراتيجية و الشعارات السياسية للمواقف المحددة، وفقاً لرؤية تنسجم مع الفكر النظري من ناحية ، و تحويل هذه الشعارات إلى خطوات عملية فعلية يجري اتخاذها على الأرض من ناحية ثانية.

في شعاراتها الاستراتيجية: وحدة، تحرر، ثأر، فإن حركة القوميين العرب لم تضع يدها فقط، على الشعارات الأساسية التي تجسد مواجهة الحاضر و التخطيط للمستقبل، و استحضار الماضي للاستفادة من دروسه، و إنما جسدت التراتبية الصحيحة في وضع هذه الشعارات، فالوحدة هي طريق التحرر، و هو بدوره يؤدي إلى الثأر من العدو، ليس بمعناه اللفظي، و إنما في تحرير فلسطين كاملة، و استعادة كافة الحقوق الوطنية الفلسطينية .

انسحب ذلك على شعارات الجبهة الشعبية ، التي عممت شعارات في أوقات اقتضت مثل هذا التعميم من نمط **(وراء العدو في كل مكان)** ،و امتلكت قدرة الرؤية على وقف بعض الأساليب الكفاحية التي استنفذت أغراضها، على سبيل المثال لا الحصر، موضوع خطف الطائرات.

السابع: في تطبيقاتها السياسية المستندة إلى فكر ماركسي –لينيني لم تُخضع الجبهة الشعبية الواقع إلى المقولات النظرية الجامدة كما فعلت الكثير من الأحزاب الشيوعية و اليسارية عموماً، **بل كانت لها اجتهاداتها و**

أخضعت النظرية لحركة هذا الواقع، مع الإبقاء التام على مضمون ذات القوانين، و لكن بحركتها الدائمة، المنسجمة مع ظروف و عوامل هذا الواقع، و من هنا أخذت الكثير من الأحزاب الشيوعية و الأخرى اليسارية **(و بخاصة العربية)** و الدولية أيضاً، و الاتحاد السوفياتي و بعض الدول الاشتراكية الأخرى، مآخذ كثيرة على الجبهة، و اتهمتها في كثير من الأحيان بالتطرف اليساري، و الماوية.

احتاجت هذه القوى لمرحلة زمنية ليست قصيرة لتفهم جورج حبش و الجبهة الشعبية على حقيقتيهما، و رغم كل الاتهامات، لم تتصرف الجبهة بردود الفعل النزقة، و ظلت لوحة تحالفاتها كما هي مثبتة في استراتيجيتها السياسية و التنظيمية، بعيدة عن المزاجية و شخصنة القضايا، تماماً مثلما ظل تصنيفها الواعي للعدو و تحالفاته.

الثامن: في صياغته لمواقفه السياسية، و للجبهة أيضاً، انطلق الحكيم من مبدأ محاورة الآخر، و الاعتماد على المبدأ الديموقراطي الذي كرّسه في الهيئات المركزية للجبهة، و في مختلف قواعدها، مما أغنى وجهة نظر الجبهة، في كافة القضايا السياسية التي اتخذت منها مواقف بعيدة عن الروح الفردية، و تأليه القائد و حتمية الصوابية في وجهة النظر السياسية التي يحددها، و ما على التنظيم أو الحزب سوى ترديد ما يقوله القائد.

نحن لا نتحدث عن قضايا غيبية، بل من واقع الثورة الفلسطينية و كما كان يحدث في بعض تنظيمات المقاومة، و لعل خير دليل على إيمان الحكيم بالديموقراطية، هو تخليه الطوعي عن الأمانة العامة للجبهة في عام 2000، في خطوة غريبة عن التنظيمات الفلسطينية و العربية، و قوى اليسار، التي لا يُغيبُ أمناءها العامين عن مواقعهم، سوى الموت.

التاسع: برغم صعوبة التحول من الإطار القومي المجرد في تجربة حركة القوميين العرب إلى الحزب المتبني للماركسية اللينينية، استطاع جورج حبش في صياغته للاستراتيجية السياسية و التنظيمية تحديد الفكر السياسي الواضح بالنسبة لقراءة الواقع أولاً و بالنسبة لمعرفة العدو ثانياً، و بالنسبة للأهداف الاستراتيجية للنضال ثالثاً.

في باب **(الاستراتيجية السياسية)** ورد في الاستراتيجية السياسية والتنظيمية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و التي تم طباعتها في وقت مبكر من عمر الثورة في عام 1969 جاء ما يلي: **(إن ما يقرر النجاح – في الثورة- هو الرؤية الواضحة للأمور و للقوى الموضوعية التي تخوض الصراع. و ما يقرر الفشل هو العفوية و الارتجال، من هنا تبدو واضحة أهمية الفكر السياسي العلمي الذي يرشد الثورة و يحدد لها استراتيجيتها)** و جاء فيها أيضاً: **(و لكي يقوم الفكر السياسي بهذا الدور الثوري، لا بد أن يكون فكراً علمياً أولاً، و واضحاً بحيث يكون في متناول الجميع ثانياً، و متجاوزاً للعموميات و موغلاً قدر الإمكان في الرؤية**

الاستراتيجية و التكتيكية للمعركة بحيث يشكل دليلاً للمقاتلين في مواجهتهم ثالثاً).

العاشر: لعل من أبرز المواقف السياسية الشديدة الوضوح في الفكر السياسي للحكيم، الموقف السياسي من الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي قيّمتها الجبهة الشعبية بأنها **(لو استمرت فإنها تحول شعار تحقيق الدولة الفلسطينية من إمكانيته النظرية إلى إمكانيته الواقعية)** و بأنه **(جرى استثمارها بشكل مبكر و بطريقة خاطئة).**

و بالفعل لقد جرى تجيير الانتفاضة و استثمارها السياسي في اتفاقيات أوسلو المشؤومة، التي أدانها الحكيم و الجبهة بتعبيرات شديدة القسوة، لكنها تمثل حقيقة القادة الفلسطينيين الذين وقعوا عليها و على ملحقاتها في أكثر من موقع، هذه الاتفاقيات التي لم تجلب سوى الدمار للشعب الفلسطيني.

الحادي عشر: وضوح تام للوحة التناقضات السياسية فلسطينياً وعربياً ودولياً عند الحكيم في كل مرحلة سياسية معينة، الأمر الذي سهّل عليه وعلى الجبهة صياغة الموقف السياسي الملائم المستند إلى فكر الجبهة السياسي و معتقدها الأيديولوجي، لذا كان من الواضح أن الرأي الشعبي بالنسبة للموقف من الحدث في كثير من الأحيان يتحدد وفقاً لرؤية الجبهة الشعبية منه، و هو ما عزز الثقة بالجبهة من قبل جماهيرها الفلسطينية عموماً.

الثاني عشر: استعمال اللغة البسيطة في صياغة المواقف السياسية بعيداً عن التعقيد اللفظي و الدوران في استعمال الألفاظ المعقدة للغة، كما يفعل كثيرون في الساحة الفلسطينية، ممن يعتقدون بأهمية التنظير من شرفة فوقية على الجماهير.

ميزة جورج حبش أنه يستعمل لغة سلسلة مفهومة بالنسبة للسامع أو القارئ، و حتى لأعقد المواقف السياسية والنظرية الفكرية، بما فيها الفلسفية منها يطرحها بلغة بسيطة.

الثالث عشر: تشكيل منظومة أخلاقية يستند إليها الفكر كما السياسة، من خلال الشفافية العالية في التعامل مع القضايا، و من خلال المراقبة و المحاسبة، لا من أجل قتل المريض و لكن من أجل شفائه، و لذلك ليس غريباً أن يطلق على الحكيم و أبو ماهر اليماني أن كلاً منهما بمثابة الضمير للثورة الفلسطينية، و على أبو علي مصطفى بعد استشهاده ، أنه عاش نظيف اليد و اللسان، نؤكد على هذه المسألة نتيجة للظواهر المسلكية البشعة في الثورة الفلسطينية، التي رأيناها على مدى عمر سنوات الثورة، و ما زلنا نراها دون مراقبة أو محاسبة. و هذا ليس صدفة.

لم يقف الحكيم و الجبهة عند الأدبيات الأساسية التي أُقرّت في المؤتمر الوطني الثاني المنعقد في شباط 1969 بجمود، بل و على مسار تطور الجبهة، أخضعت هذه الأدبيات إلى عمليات مراجعة شاملة حيث يجري

تنقيحها و حذف ما أثبت خطأه، و إضافة ما اعتبر أنه لازم من أجل إغناء المقولات التي تضمنتها هذه الأدبيات.

فعلى صعيد الاستراتيجية السياسية: جرت تعديلات على سياق تحديد أطراف المعسكر المعادي للثورة، و تم في التعديل الجديد، تحميل المسؤولية للأحزاب و التنظيمات و القوى السياسية التي قادت –و تقود- نضالات الجماهير الفلسطينية. إن القيادات السياسية التقليدية لشعبنا الفلسطيني-و ليس شعبنا الفلسطيني- هي التي عجزت عن بلورة أحاسيس الجماهير الفلسطينية إلى فكر سياسي واضح، يحدد بدقة و بشكل حاسم، معسكر أعداء الثورة.

جرى أيضاً تعديل التعريف للحركة الصهيونية باعتبارها من قبل **(حركة دينية عنصرية.... الخ)** إلى اعتبارها **حركة سياسية مغرقة في رجعيتها و فاشيتها و عنصريتها، تعبر عن المصالح و الأهداف الطبقية للبورجوازية اليهودية و التي ترتبط عضوياً بمخططات و مصالح و أهداف الإمبريالية العالمية.**

هذا التعريف الذي يتماهى في جوهره مع قرار الأمم المتحدة الذي**"اعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية و التمييز العنصري"** الذي تناولناه سابقا.

في التعديلات أيضاً تمت الإشارة إلى الخطأ السابق في استبعاد الفلاحين من البورجوازية الصغيرة كطبقة وفقاً للتعريف اللينيني للطبقات في المجتمعات الرأسمالية، و التي يقول عنها لينين **(الطبقات التي نعرفها في المجتمع الرأسمالي و شبه الرأسمالي هي ثلاث: البورجوازية و البورجوازية الصغيرة و التي يمثل الفلاحون عنصرها الرئيسي- و البروليتاريا).**

على نفس السياق جرت تعديلات في النظرة إلى البورجوازية الفلسطينية و دروها في الثورة، و التعديلات أيضاً جرت على الكثير من القضايا الأخرى **(ومن يود الاطلاع على المزيد من المعلومات فليعد إلى الاستراتيجية السياسية و التنظيمية التي أصدرتها دائرة الإعلام المركزي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، 1983، الطبعة الرابعة).**

على صعيد آخر، فإن الفكر السياسي لجورج حبش، وصياغة مواقفه السياسية تجاه الأحداث، لم تذب في المواقف الحليفة الأخرى، فعلى سبيل المثال و رغم الزخم الذي مثلته الناصرية و شخص الرئيس عبد الناصر، تمسكت حركة القوميين العرب و من ثم الجبهة الشعبية فيما بعد، و نحن نتحدث ،عن جورج حبش بالطبع مؤسس التنظيمين، بالحفاظ على أصالة المواقف السياسية، اتفقت مع الرئيس في قضايا، و اختلفت معه في قضايا أخرى**(على سبيل المثال لا الحصر: الموقف من الثورة في جنوب اليمن و محاربة المخابرات المصرية للجبهة القومية، الفرع اليمني الجنوبي في حركة القوميين العرب، لصالح جبهة تحرير جنوب**

اليمن، برئاسة عبد الله الأصنج، و كذلك الموقف من تبني مصر في عهد عبد الناصر لمبادرة روجرز).

دعمّت تجربة الوحدة العربية بين مصر و سوريا من العلاقة بين مصر و حركة القوميين العرب، لكن و رغم هذه العلاقة لم يتوان جورج حبش في تشخيصه لإخفاق هذه التجربة، في ما حدث من انفصال ، عن التطرق لحقيقة هذه الأسباب **(مثلما ذكرها في كتاب ، الثوريون لا يموتون أبداً، في الحوار مع الصحفي الفرنسي جورج مالبرينو، و الصادر عن دار الساقي 2009)**، والمسجلة في أدبيات الحركة و الجبهة فيما بعد، و التي تتمثل في أسباب كثيرة(لسنا بصدد تعدادها)، **أبرزها: غياب الديموقراطية، فلم يكن يسمح بحرية العمل السياسي للتعددية الحزبية. هاجس الديموقراطية الذي ظلّ مع جورج حبش حتى يومه الأخير.**

لعل ما يتوجب على الباحث في الفكر السياسي للحكيم، الاطلاع على آخر مقالة له، بعنوان: أزمة اليسار العربي.... إلى أين؟ إضافة بالطبع إلى أدبيات حركة القوميين العرب، و الأخرى الصادرة عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و لعل من أهمها: الاستراتيجية السياسية و التنظيمية.

في مقالته الأخيرة، يشدد الحكيم في نظرته التقويمية لحركة اليسار على تعبير **(الماركسية القومية)** باعتبارها أحد جناحي حركة اليسار العربي، هذا

التعبير الدقيق، الذي جرى إهماله تماماً من الجناح الأول في حركة اليسار، و هو: الجناح الشيوعي، على مدار سنوات طويلة.

بدايةً، من يقرأ لينين، و مؤلفه القيّم حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية، و من يتتبع الموقف الماركسي-اللينيني من المسألة القومية ، يلاحظ دقة هذا المفهوم في هذه الأدبيات، فقد ميّز لينين تمييزاً صارماً بين القومية المظلومة و القومية الظالمة، و فرض على الأحزاب الشيوعية في أوروبا تأييد الأولى ، و شجب الثانية.

نورد هذه المسألة لمزيد من فهم الفكر السياسي لجورج حبش، سواء في تحليل الواقع الفلسطيني و العربي رغم التعقيدات الكبيرة في كل منهما، و إيمانه الحتمي بضرورة وحدة اليسار على المستوى القطري أولاً كخطوة على تحقيق وحدة اليسار العربي، ففي تشخيصه للأسباب التي أدت إلى إخفاق الكثير من الأحزاب الشيوعية في تجاربها العربية، يعدد أبرزها والمتمثلة في :

أولاً: الإخفاق في استيعاب و وعي حركة الواقع و بالتالي الفشل في تغييره.

ثانياً: عدم إنجاز هدف الوحدة العربية كرّس الواقع القطري، الذي أفزر بدوره قوى يسارية قطرية طرحت على برامجها ومهماتها برامج قطرية، دون التطرق بل حتى نسيان البرامج على المستوى القومي.

ثالثاً: إن الأحزاب اليسارية القومية وجدت نفسها عاجزة عن التأثير و الفعل العملي على مستوى القضايا القومية، و انحصر جهدها في المستوى النظري.

يتطرق الحكيم في المقالة المشار إليها إلى التغييرات الاقتصادية في الوطن العربي و العلاقة مع الرأسمالية العالمية، و الخصوصيات التي امتاز بها الوطن العربي في عملية تطوره، و الذي أثرّ على مجمل عملية النمو، و التي حالت دون إحداث تحولات كبيرة، اقتصادية، اجتماعية، جذرية على المستويين الوطني والقومي.

في اعتقادنا، أن هذا التحليل المختصر للدكتورجورج حبش يبين أيضاً و بما لا يقبل مجالاً للشك: التطور في مفاهيم الحكيم النظرية-السياسية، مبيناً: **أن انهيار الأنظمة الشيوعية التي كانت في غالبيتها نتاجاً للنظام الستاليني الشمولي، هذا الانهيار لا يعني أن البديل الحقيقي هو الديموقراطية البورجوازية، أو الليبرالية الجديدة، كما يدعو البعض ، بل أن البديل الحقيقي هو الديموقراطية الاشتراكية، التي تعني ضمناً، ليس الديموقراطية السياسية فحسب، بل الديمقراطية بمفهومها الأوسع و الأشمل، و أبعادها الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و هذا ما كانت تفتقده تجارب بلدان المنظومة الاشتراكية.**

كل ذلك إضافة بالطبع إلى أهمية أن يتضمن جدول أعمال اليسار بشكل عام: المهمات القومية من جهة، و شعار **(الوحدة العربية)** من جهة أخرى.

في تقديرنا، فإن الحكيم هو أحد المجددين القلائل الذين أضفوا على الماركسية بعدها القومي، على الصعيد العربي.

يعود جورج حبش في مقالته الأخيرة إلى وثائق قديمة عديدة و لعل من أهمها:الوثائق الصادرة عن كونفرنس مشترك جرى بين الحزبين الشيوعي السوري ، و الفلسطيني في عام 1931، و يخصص بالذكر الوثيقة المنشورة بعنوان**(مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية)** و يبين ، مدى الدقة النظرية التي تحلى بها الحزبان في فهم: قضية فلسطين و قضية الوحدة العربية، و صوابية تحليلهما آنذاك.

و يدعو في ختام مقالته إلى ضرورة التمييز بين أجنحة قوى اليسار، و أدوارها حسب الأحداث، و المراحل التاريخية التي مرت بها، و بين القوة اليسارية الأكثر راديكالية، معتبراً،على سبيل المثال حركة فتح ضمن أجنحة قوى اليسار الدولية، و الأدق تعبيراً ضمن اليسار الاشتراكي الدولي، والتي لا تختلف في تقييمها**(وكما أوضح لينين أيضاً)** عن البورجوازيات الحاكمة ، إلا ببعض البرامج الاجتماعية الإصلاحية ، و تضم طيفاً واسعاً من القوى غير المتجانسة، لذلك لا يمكن النظر لليسار الإسرائيلي، **إلا باعتباره يساراً صهيونياً و معادياً لمصالحنا الوطنية و**

القومية، عمل على تنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين طوال العقود الماضية.

بالنسبة إلى القوى الدينية لعله غني عن القول أن الحكيم يحدد فارقاً كبيراً بين اتجاهين فيه: القوى السلفية الظلامية، و القوى المتنورة التي تقف مع قضايا شعوبها الوطنية و القومية، و لذلك من الطبيعي أن يكون جورج حبش من الأوائل، الذين بعثوا ببرقيات تهنئة للأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، على الانتصار الذي حققته قوى المقاومة الإسلامية في لبنان، و أبطال حزب الله ، و صمود شعب لبنان العظيم، في الثامن عشر من أغسطس عام 2006

الفكر السياسي للحكيم فلسطينياً:

بدايةً، لا يمكن الفصل بين الفكر السياسي للحكيم على صعيد الجبهة وعلى الصعيد الفلسطيني، بل الجزءان مترابطان متداخلان، الصعيد الأول أوجد من أجل تحقيق الأهداف على الصعيد الثاني، و هو جزء لا يتجزأ منه، أي بمعنى التصور للعام الفلسطيني.

أقدمنا على الفصل القسري في محاولة للإطلالة على الفكر السياسي للحكيم فيما يتعلق بالرؤية العامة للمستقبل الفلسطيني بشكل عام، و للإطلالة على الصياغات للعلاقة السياسية مع قوى اليسار و القوى الديموقراطية الفلسطينية.

في الوقفة أمام الشعار الاستراتيجي لحركة التحرر الوطني الفلسطينية أرتؤي أن **(إقامة الدولة الديموقراطية الشعبية في فلسطين، التي يعيش فيها العرب و اليهود كمواطنين متساوين في الحقوق و الواجبات، و تشكل جزءاً لا يتجزأ من الوجود الوطني العربي الديموقراطي التقدمي، المتعايش بسلام مع كل قوى التقدم في العالم).**

و بذلك جرى تعديل على هذا الهدف الذي تضمنته الاستراتيجية السياسية و التنظيمية المقرّة في المؤتمر الثاني في شباط 1969، و الذي رأى الهدف في **(إنشاء دولة وطنية ديموقراطية في فلسطين.....الخ).**

الشعار بصيغته الجديدة هو الأكثر عمقاً و الأكثر دقة في التعبير عن المضمون الحقيقي للهدف، ذلك لأنه يعكس:

1- المضمون الاقتصادي الاجتماعي للمهام و الأهداف التي ستتصدى لإنجازها حركة التحرر الوطني الفلسطيني في مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية- مرحلة ما بعد إنجاز الاستقلال السياسي، من حيث هي مهام و أهداف وطنية و ديموقراطية تترابط و تتشابك بشكل وثيق مع مهام و أهداف الثورة الاشتراكية اللاحقة.

2- أهمية و ضرورة قيادة الطبقة العاملة الفلسطينية للتحالف الطبقي الديموقراطي المعني بالمشاركة الفاعلة في إدارة الدولة و

المجتمع ، نحو حل و إنجاز كامل مهام و أهداف المرحلة الوطنية الديموقراطية، و بأفق اشتراكي .

3- أهمية و ضرورة قيام أوثق الصلات التحالفية مع قوى السلام و التحرر و الاشتراكية على الصعيد الأممي.

في الانشقاق الذي حصل في جسد الجبهة الشعبية في عام 1969 كان الدكتور جورج حبش من بين قلة في التنظيم رفضوا الحل عن طريق القوة في التعامل مع الفريق المنشق، و كان التعبير الذي أطلقه الحكيم آنذاك **(الطلاق الديموقراطي)**. و رغم أن هذا التنظيم أخذ في إطلاق وصف اليمينية على الجبهة الشعبية، آمن الحكيم بضرورة وحدة اليسار و القوى الديموقراطية الفلسطينية، الأمر الذي يدلل على سعة أفق هذا القائد الديموقراطي في مسيرته حتى العظم.

لقد لعب الحكيم و الجبهة دوراً ريادياً في إنشاء**(جبهة الصمود والتصدي)** بعد زيارة السادات إلى القدس في عام 1977، و دوراً مركزياً في خروج الاجتماع الذي حضرته كافة الفصائل الفلسطينية**(بوثيقة طرابلس)** بلاءاتها الثلاث: **لا للسلام،"السلام بمفهوم الاستسلام" لا للمفاوضات، لا للاعتراف بإسرائيل،** و الذي اختتم بإنشاء هذه الجبهة مع بعض الدول العربية **(ليبيا، الجزائر،اليمن الديموقراطي، سوريا، إضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية)**.

لقد رأى الحكيم في توقيع اتفاقيات كمب ديفيد من قبل السادات و إسرائيل بيعاً من قبله للقضية الفلسطينية، و خيانة لها، و فكاً للارتباط مع الاتحاد السوفياتي، و استكمالاً لانتقاله إلى الحضن الأمريكي.

لقد مارست الجبهة الشعبية عملية انسحابات من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كجزء من تكتيك سياسي مارسته في مراحل مختلفة، من أجل الضغط على اليمين الفلسطيني و القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية، لاتخاذ مواقف سياسية أكثر وضوحاً بالنسبة لقضايا سياسية كثيرة، تميزت فيها هذه القيادة بالميوعة السياسية على قاعدة تعبير(لعم) أي الأجابة بنعم و بلا في نفس الوقت.

بعد الخروج من بيروت في عام 1982، لم يقلل جورج حبش و الجبهة الشعبية من أهمية الساحة اللبنانية في النضال ضد العدو الصهيوني، فشاركت الجبهة في عمليات مقاومة كثيرة ضد إسرائيل ، و قدمت الدعم إلى الحركة الوطنية اللبنانية المقاومة في مناطق البقاع و الجبل و الجنوب اللبناني.

في زيارة ياسر عرفات إلى مصر بعد أحداث طرابلس أشار جورج حبش بوضوح كامل إلى **(وجود سادات فلسطيني بين صفوفنا)** و اعتقد الحكيم أن الفرصة كانت سانحة لتوحيد الساحة الفلسطينية و لتغيير الخط السياسي الذي كان يتفرد به أبو عمار حتى تلك اللحظة، فدعى إلى مفاوضات

حضرتها قوى فلسطينية و عربية مساعدة، و تم التوقيع على اتفاقية عدن-الجزائر، و أقفل بذلك الباب على اتفاقية كامب ديفيد، و مشروع ريغان و بعض المشاريع الرسمية العربية، لكن ياسر عرفات أهمل هذه الاتفاقية و استعملها كغطاء لسياسته المنحرفة، الأمر الذي أدى إلى إنشاء القيادة الموحدة بين الجبهتين الشعبية و الديموقراطية، لكن الأخيرة خرجت من هذه القيادة، و دارت في فلك ياسر عرفات و اليمين الفلسطيني عموماً،

في ظل هذا الانقسام تمكن أبو عمار من تأمين انعقاد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في عمان في نوفمبر 1984، و هو الاجتماع الذي رفضت الجبهة الشعبية الاعتراف بما سيصدر عنه من قرارات، و بدأت التفكير في إيجاد صيغة للرد، و كان تشكيل جبهة الإنقاذ من الفصائل الفلسطينية المعارضة لعرفات، و المتواجدة في دمشق، و كان الهدف منها الرد على محاولات الاحتواء الرسمية العربية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد أدان الحكيم دون مراعاة جغرافيا التواجد، الاعتداءات ، التي جرت على المخيمات الفلسطينية في لبنان، و لعبت الجبهة دوراً بارزاً في الوصول إلى اتفاق دمشق.

بالطبع، إن من الصعوبة بمكان التطرق إلى الفكر السياسي لجورج حبش في بحث ، استعرضنا أهم المفاصل التي تحدد الأسس لفكر هذا القائد الوطني الفلسطيني العربي الأممي البارز.

بقي الحكيم ممسكاً بجوهر المسألة

أحمد مصطفى جابر

تحضر ذكرى رحيل جورج حبش، الحكيم الذي يبدو أننا أحوج ما نكون إليه هذه الأيام المظلمة الكئيبة، و المفعمة بالبطولة و التضحية –للمفارقة- على حد سواء.

و لعل الوفاء للرجل يتجسد أكثر ما يتجسد في استعادة أفكاره و إعادة تقديمها كما نظن أنه أرادها أن تظهر، ما يقتضي إعادة قراءة معمقة في أهم ما طرحه الرجل، و قد اخترت الدخول إلى هذا من باب السؤال الذي ارتبط بالحكيم في سنواته الأخيرة أكثر من غيره: سؤال الهزيمة و معضلة العقل و العضلات في الكفاح الفلسطيني.

قد يكون ظلماً كبيرا البدء بالحديث عن جورج حبش ابتداءً من سؤال الهزيمة، و كأن الحكيم لم يطرح هذا السؤال و لم يتفرغ له إلا بعد أن ترك موقع الأمين العام للجبهة الشعبية كترف فكري ما، و هذا في الواقع و

للتاريخ عار عن الحقيقية و فيه ظلم كبير لرجل كرس حياته من أجل هدف واحد لا يحيد عنه قيد أنملة و هو هدف تحرير فلسطين. هذه نقطة أولى.
النقطة الثانية إن من الظلم الكبير إحالة السؤال الذي أطلقه الحكيم إلى الجبهة الشعبية و اليسار على اعتبار مكانته فيهما ما فتح الباب لليمين بجناحيه العلماني ممثلا بفتح، و الديني ممثلا بحماس وغيرها للقول أن فشل اليسار و القومية يعني أن كلا منهما و على حده البديل التاريخي و كأن الجبهة الشعبية بتأسيسها أصلا لم تكن الرد على الهزيمة، و محاولة مثابرة للإجابة عنها، و كأن سؤال العقل و العضلات كان يخص الجبهة وحدها و ليس الكل الفلسطيني، و هنا من المفيد التذكير بما قاله الحكيم في خطابه التاريخي في المؤتمر السادس للجبهة الذي أعلن فيه انسحابه من موقع الأمين العام للجبهة و أطرها القيادية:
" وفق قناعتي و رؤيتي فإن العامل الأساسي في تميز تجربة الجبهة و خصوصيتها التي نالت كل هذا الإعجاب و هذا الدعم و التأييد و لعبت كل هذا التأثير فلسطينيا و عربياً و دولياً يعود بالدرجة الأولى إلى تشابك الخط السياسي الذي مثلته الجبهة في المشروع الوطني التحرري بالخط القتالي..
و السير خطوات ملموسة في بناء الأداة التنظيمية الجذع الذي يحمل هذين الفرعين، و رغم أهمية الخط العسكري و استراتيجيته بالنسبة للتجربة النضالية الفلسطينية إلا أنني أود هنا التأكيد و التشديد على الخط السياسي، و السبب في هذا يعود إلى حقيقتين أفرزتهما التجربة الفلسطينية المعاصرة إن الخط العسكري يأتي في صلب الخط السياسي أي انه جزء مكون من

الرؤية السياسية و بالتالي فإذا كانت الرؤية السياسية سليمة وعلمية و ثورية فإنها بالتأكيد ستمارس الشكل النضالي الملائم مع تلك الرؤية السياسية إن إخفاق الحركة الوطنية الفلسطينية و ارتداد قيادتها الرسمية ممثلة بفريق أوسلو لا يعود بالأساس إلى إخفاقها العسكري أو لغياب كفاحية قواعدها التنظيمية أو الشعبية وإنما يعود في هذه المرحلة إلى انهيار الخط السياسي لهذه القيادة الذي توج بانقلابها على البرنامج الوطني التحرري و انخراطها في المشروع الأمريكي- الإسرائيلي للتسوية اتصالا بالتغيرات الطبقية – الفكرية– المعنوية التي طرأت على النخب القيادية أولا و قبل كل شيء.

هل يشكل هذا الكلام جوابا على سؤال العضلات الذي فهم على غير ما عناه الحكيم؟.

الملاحظة الثالثة أنه جرى اختزال السؤال الأصل إلى دلالة الاستنتاج الحتمي في تلاعب لغوي واضح، مذكراً بالسؤال الأصل: لماذا انتصر المشروع الصهيوني و لماذا هزم المشروع القومي العربي؟.

وهذا يجعلنا مطالبين بوضع السؤال في إطاره التاريخي الصحيح. و السؤال إذاً حول شكل المشروع القومي الذي هزم و فحواه، هل هذا يعني باستحالة مشروع قومي آخر؟

قبل الاستطراد لابد من الإشارة إلى أنني أذهب في تحليلي إلى أن السؤال هو سؤال التحفيز و إعمال العقل و ليس سؤال الجهالة و الإذعان، لأنه لم يصدر عن رجل جاهل أو عادي أو يفتقر للذكاء المطلوب و معزول عن

الممارسة العلمية و هنا من الضروري قراءة هذا السؤال بدلالاته الكفاحية والفكرية و دلالة المصير أكثر من دلالة اللغة بحد ذاتها.
فمن صدر عنه السؤال؟ لمن وجه سؤاله؟ و لماذا؟ .

صدر السؤال عن جورج حبش المفكر و السياسي المناضل التاريخي و أيضا قائد الجبهة الشعبية وهذا الربط ضروري و له دلالة تاريخية و واقعية، الرجل الذي تبنى فكرة لم يحد عنها طوال سبعين عاماً، جوهرها تحرير فلسطين، وهذا يعكس الصلابة الفكرية التي تميز بها، خريج الطب الأول على دفعته و الأستاذ المساعد لعلم الأنسجة، و ابن العائلة الميسورة و الوسيم و الرياضي عميق الثقافة إن شئتم، الذي لم يأت من الفشل إلى الكفاح الوطني و القومي بل من نجاح شخصي متحقق و ألمعية معترف بها، ليكرس حياته لشعبه.
أيضا و هذا لا يقل أهمية: إن جورج حبش هو طالب الطب الذي وجد نفسه لاجئاً فجأة مع عائلته، و مطروداً من بيته، انه أخو الشهيدة التي لم يتسن له وداعها و دفنها بما يليق، و التي دفنت على عجل في حديقة منزل استولى عليه الصهاينة و أعرف أن حزن الحكيم على شقيقته لم ينضب أبدا بل تحول إلى حزن و غضب تاريخي على مصير شعبه بأكمله.
لم يستسلم جورج حبش للحظة الهزيمة الأولى بل كان مع المقاتلين على مشارف اللد حزينا لعدم معرفته بالسلاح و أساليب القتال فانبرى يطبب جراحهم و يعالج مصابيهم، ليصبح بعدها طبيب الشعب سياسياً و كفاحياً. و

أصبح دوره و كفاحيته جزءاً من التاريخ لايمكن بيان تفصيله هنا و لكن الأهم الذي أود إضافته أن الحكيم عندما غادر اللد كان ينوي العودة إليها و عندما غادر الجبهة كقائد، كان ذلك فيه دلالة عميقة في ذات المؤتمر الذي نضج فيه حزبه لدرجة تقديم وثائق كانت الأكثر عمقاً و موضوعية في تاريخ اليسار الفلسطيني و العربي بشهادة حتى نقاد الجبهة و الحكيم.

أعني وثيقة المراجعة التاريخية و وثيقة التقرير السياسي و الفكري، و أشهد أنه ناقش و أمسك بزمام كل كلمة كتبت في هاتين الوثيقتين، مدققاً و متمحصاً و مناقشاً و معترضاً حيناً و مصفقاً بفرح تلميذ شغوف بالاكتشاف أحيانا أكثر

و أعتقد أن للاستقالة إن صح التعبير و تقديم هذه الوثائق للنقاش و الإقرار في ذات الوقت له دلالة فارقة و مفصلية في مسيرة الحكيم و تاريخ الجبهة الشعبية.

هل يمكن بعد ذلك اختزال سؤال المصير للحكيم بعبارة رثة تفتقر للبلاغة و العمق و الإبداع مثل: لماذا هزمنا؟

أما عن الشق الآخر للسؤال: لمن وجه الحكيم سؤاله؟ فأجيب عن معرفة أنه وجهه أصلا لرفاقه و قد يفاجأ البعض لو علم أن السؤال كان داخلياً في الأساس طرحته الجبهة ضمن عملية التحول النظري المثيرة التي اجتازتها الجبهة على مدى ثلاثين عاماً ربما أمر لم يلحظه من هم خارج الجبهة و على كل حال لقد عشناه بعقولنا وأعصابنا بل بالدم أيضا.

أما لماذا؟ فلا يخفى على أحد أننا طرحنا هذا السؤال ارتباطاً بجوهر ما تمترس خلفه الحكيم و الجبهة، فكرة تحرير فلسطين و استعادتها خصوصاً مع التحولات الكارثية المرتبطة بمؤتمر مدريد و من بعده أوسلو حيث أصبح سؤال المصير هاجس كل فلسطيني، لذلك كله كان سؤال لماذا انتصر المشروع الصهيوني و لماذا هزم المشروع القومي العربي يتضمن جانبين ذاتي و موضوعي.

و من قوانين التاريخ التي تعلمناها في مدرسة الماركسية، أن النصر يحتاج لتضافر عوامل موضوعية و ذاتية و لا يستقيم الأمر بدون ذلك، أما الهزيمة فلا تحتاج سوى لغياب أحد العوامل، و قد أخفقنا بالفعل في حشد مكامن القوة لأسباب كثيرة و تم تفشيل سعينا لضفر الذاتي و الموضوعي.

وهنا اسمحوا لي بالقول أن من المعيب أن يفهم من السؤال بشكل من الأشكال استكانة الشعب الفلسطيني و إنه كان يقف متفرجا على بلده وهو ينتهب، لقد أصبحت الوقائع البطولية لكفاح هذا الشعب و تضحياته جزءاً من تاريخ لا يقرأ للأسف و لكنه موجود و موثق نعتز به كفلسطينيين و نستلهم منه طريقنا الطويل.

بالعودة إلى السؤال، علينا الإقرار أن المشروع القومي العربي لم يكن لاعباً وحيداً من جهة و لم يكن موحداً من جهة أخرى، بل طغى عليه التنافس و الصراع و رغم ذلك كان مستهدفاً بالذات وعلى وجه الخصوص من خصمين صارا حليفين من حيث لايدريان أو يدريان، أعني العدو الصهيوني و الاستعمار العالمي من جهة و التيار اليميني بتنوعاته من جهة

أخرى بما فيها الجناح اليميني من الفكرة القومية. و الجميع سعى لتدمير الخيار القومي لأسبابه الخاصة.

لماذا لم نستطع تحرير فلسطين و لماذا تمكنوا من مواءمة الظروف الموضوعية و العوامل عندهم و غيابها عندنا لنجاح مشروعهم؟

بديهي أنني لم أكتب هذا لتقديم جواب، و لكن بقناعتي لايمكن عزل السؤال عن تاريخنا المعاصر و فشل إنجاز مشروع الاستقلال العربي، و تسلط القوى و الطبقات الحليفة للاستعمار أو المتواطئة معه على مقدرات الأمة حتى هذه اللحظة دون الدخول في تفاصيل تزعج أو توجع القلب

و لكن كانت الهزيمة عام 1967 قد أفرزت تيارين دون أن نغفل أن الجبهة في وثيقة المراجعة التاريخية قد ابتدأت من سايكس- بيكو و ظروفها و ليس من 1967.

وعلى كل حال، التيار الأول رأى أنها هزيمة لتيار القومية العربية والخيار القومي قولاً واحداً، فصعدت أيدلوجيتين متناقضتين و متفقتين الإسلامية و الشعبوية الفلسطينية.

التيار الثاني نظر إلى الموضوع نظرة أخرى كاشفا أن الهزيمة كشفت أن ليس كل طبقات الأمة لها مصلحة في التحرير بل ثمة طبقات و فئات بعينها لها مصلحة في التحرير و النهوض و من هنا و بعيدا عن التشنج الذي حاربه جورج حبش بقوة شقت الجبهة طريقاً واعياً نحو الماركسية بفهمها الفلسطيني، و التي صاغ قوانينها المعلم غسان كنفاني في وثيقتين تاريخيتين:

مهمات المرحلة ، و الاستراتيجية السياسية والتنظيمية

كان هذا ليس بفضل الحكيم وحده، بل بفضل طليعة عظيمة من وجهة نظرنا كجبهويين على الأقل ضمت وديع حداد و غسان كنفاني و أبا ماهر اليماني و أبا علي مصطفى و هاني الهندي و أسامة النقيب و باسل الكبيسي وغيرهم الكثير، و لكن مكانة الحكيم بالذات و حس التلميذ الشغوف بالاكتشاف عنده وعقل طبيب الأنسجة التحليلي الصارم جعت منه قادراً على قيادة هذه المجموعة الفريدة و على الانفتاح على كل جديد و مراجعة القديم، وهذا كان النقطة الحاسمة برأيي الخاص في هذا التحول حيث أن الرجل كان يصوغ أفكاره و معتقداته ليس انطلاقا من الكتب وهو طبعا المثقف الموسوعي و القارئ الممتاز، بل من الممارسة المباشرة و دروسها المستخلصة.

أود أن أضيف أشياء أراها أساسية حول الحكيم..

طوال ستة عقود آمن الحكيم بالحق الفلسطيني، بحقه كفلسطيني، رافضاً المساومة تحت شعار التسوية أو الظرف الذاتي أو موازين القوى لأنه كان مقتنعا بأنه يلزم الحصول على القوة لدعم الحق و ليس استخدام الحق لاستحصال القوة، و لهذا دلالة بالغة في صياغة الرؤية السياسية والفكرية لنظرية الصراع التي حددتها الجبهة بإشراف الحكيم في وثيقتها التاريخية بأنه صراع وجود و هو تاريخي و مفتوح لن يغلق إلا بانتصار ناجز لأحد الفريقين و كان الحكيم طبعا و نحن أيضا كجبهويين مقتنعين تماما و مؤمنين أننا نحن الطرف الذي سينتصر.

كان الحكيم من القلائل في القيادة الفلسطينية الذي بقي ممسكا بجوهر المسألة أن الوطن هو فلسطين و ليس القضية الفلسطينية، منتقدا بشدة الأنظمة العربية المتمسحة بالقضية الهادرة لفلسطين في تناقض قد نفهم أسبابه.

و لهذا الوعي دلالة في صياغة البرنامج و فهم الاستراتيجية و التكتيك أظن في النهاية أن من واجبنا و حق الحكيم علينا نحن أبناؤه و متبعي طريقه في الجبهة الشعبية أن نعيد سؤاله التاريخي إلى أصالته و معناه الحقيقي الذي قصده و نظر له و كان جديراً بإطلاقه في سياق تاريخي محدد.

نصيحة جورج إلى جورج

مروان عبد العال

حدثني قبل بدء الجلسة الاولى للمنتدى الثالث للمناضل البحريني العروبي عبد الرحمن النعيمي.. المنعقد في بيروت ١٨ ديسمبر ٢٠١٥ . جلس جانبي حين أسر لي د. جورج جبور بنصيحة تقدم بها يوماً للدكتور جورج حبش ، استهل كلامه بجملة مفتاحية بأنه قد كتب كثيراً عن جورج حبش ، لكن هناك واقعة يريد البوح لي بها و أعطاني الحق في كتابتها إن شئت، في

زمن مقلوب تستفعل فيه الانقسامات و الاحتراب و الفتن و النزعات المصلحية و نحن أحوج ما نكون إلى النموذج القيادي من طراز جورج حبش .

عندها وجدني أمنحه إصغائي غير مكترث للضجيج الذي يصاحب افتتاح أي جلسة، حدثني بأنه ذات يوم حظي بزيارة خاصة إلى د. جورج حبش في منزله قرب فندق أمية في دمشق.

أيام الانشقاق الذي حصل في حركة فتح عام ١٩٨٣ و تداعياته التي أدت الى خسائر معنوية و سياسية و أخلاقية أصابت القضية الفلسطينية نتيجة هذا الاحتراب الذي كان الحكيم قد وصفه بشتى النعوت ، من المجرم الى المدمر الى الحرام . و لا يخفى أن هدف الزيارة كان للبحث في ما آلت إليه القضية في ظل قيادة مأزومة ، أي أن الطرح الذي يريده مع الحكيم هو أزمة القيادة البديلة للحالية التي تتحمل مسؤولية ما جرى بعد الخروج من بيروت .

أي التفكير ببديل للقائد العام الأخ أبو عمار الذي لم يعد وقتها قاسماً مشتركاً و صار خاضعاً لحسابات الخلاف و القسمة الأخيرة أي أنه أدخل الشعب الفلسطيني في عقدة فقدان الزعامة التاريخية..

و يقدم عرضاً يقول أنه آن الآوان أن يتصدى الحكيم لهذه المهمة كان جورج جبور وقتها يشغل منصب مدير مكتب رئيس الجمهورية العربية السورية للدراسات و السياسات العربية.

و أكد أن زيارته شخصية من منطلق الإعجاب بالحكيم و الحرص على القضية الفلسطينية التي تعصف بها مرحلة الخروج من بيروت و تداعيات الخلافات على الخيارات التي تعيشها.

حدثني عن اللحظة الحرجة و أنه معجب بحكمة و ثورية و نزاهة و رومانسية جورج حبش، و أحلامه العظيمة التي لا تتعارض مع نظرته الجدلية لتفسير الواقع ، إلاّ أنه حسب وجهة نظر جبور يظل القيادي الأكثر تأهيلاً ليتبوأ مهمة إنقاذ الحركة الوطنية الفلسطينية.

يعترف محدثي أنه استهل الكلام مع الحكيم بوابل من عبارات الإعجاب المعلل بميزاته القيادية و الطهرانية و الأخلاقية و حكمته السياسية و مكانته النضالية و الشعبية، ثم اقترح على الحكيم عرضاً أو نصيحة مفادها : أن لا يترك مكان الزعامة التاريخية فارغاً حتى لا يشغله من لا يستحق، و ذلك رأفةً بالشعب الفلسطيني .

عندها لاحت علامات الخجل على وجه الحكيم و ارتسمت على وجهه ابتسامة مزدوجة ، واحدة منها تدل على علامة استحسان لما قاله وأخرى مليئة بالوجل والحيرة في لملمة الفكرة بكامل جوانبها و بلحظات و هز رأسه وإصبعه كعلامة قطع طريق على العرض و رفض مسبقٍ للنصيحة قبل أن يبدأ الحكيم بتعليل سبب تمنعه .

باشر د. جبور يتخيّل سبب الرفض أن يكون الرفض السريع ناتجاً عن اعتبار ذلك تدخلاً لا يحبذه أو موقفاً استطلاعياً رئاسياً على أبعد تقدير

فأخذ يقسم مستبقاً شرح الحكيم ، إنها مجرد نصيحة شخصية خوية و ليست تكليفاً من أي مسؤول رسمي ، علماً أنه متاح له من الرئيس إبداء أفكار خاصة و آراء شخصية.

مع ذلك فإن الحكيم أوضح سبب رفضه المباشر و الصريح للنصيحة، معللاً ذلك أن هناك قيادة يمثلها "أبو عمار" رغم أنه يختلف جوهرياً مع نهجه السياسي، و لكنها مازالت قيادة ممكنة حتى ذلك الوقت و تحتاج للاصلاح و التغيير و التجديد لكن بوسائل ديمقراطية ، و أنه لا يقبل أن تكون وسيلة التغيير انقلابية أو عنفية أو استقواء بالواقع الجديد الذي فرضته ظروف الخروج من بيروت .

و كرر رفضه للاحتراب داخل الصف الواحد، حتى أنه لا يبررها مهما كانت غايتها، مذكراً بحرمة الاقتتال و أن كل البنادق نحو العدو، لا ظرف الزمان يسمح أن تطرح قيادة بديلة وإن هذا الأمر لا يسجله على نفسه تاريخياً، حتى لا يتهم خاصة بعد خروج الثورة من بيروت أنه أضحى شريكاً غير محسوب في الصراع على التركة ! و يعطي انطباعاً بأن مدخل عملية الإصلاح المطلوبة يكون بتحويله إلى تحقيق مصلحة فردية و سلطة شخصية.

و لا ظرف المكان يجعله يتجاوز حساباته الوطنية ليزيد الطين بلة، و خاصة في زمن تأزم العلاقة مع دمشق ..

نصيحة متبادلة رغم ما أخفاه حينها من سبب مضمر و ترك له أن يستنتجه لاحقاً ،

هناك تنويهٌ فهمه كلاهما و لكنه ظل مضمراً ، عن وقع النصيحة الثقيلة التي يقدمها جورج إلى جورج.

عن دلالة الاسم التي يدفع أصحاب اللعب الطائفية الدنيئة لاستخدام رخيص بهدف النيل من الإنتماء العروبي الأصيل للجورجين ! و تشويه الفكرة بسموم دنيئة و عواقب غير محسوبة، و لكنها بحس الحكيم الوقائي و الاستباقي الحذر فكان الأمر يختلف.

يأبى إغراء السلطة التي قل من يصمد في معاندتها.

السلطة التي ترتكب لأجلها حماقات و تنتهك في سبيلها الأخلاق، و من أجلها تتفكك الأوطان و تروض الثورات و تتآكل المؤسسات و الدول . ظل يمتلك هيبة القيادة بقيمها المعنوية و بقوة الوعي و الضمير و ليس بجهاز سلطوي مصطنع أو مفبرك لهذه الغاية .

أعرب للزائر عن بالغ سعادته باللقاء واحترامه الاستثنائي له شاكراً له ثقته العالية، معتذراً عن أنه كان قد خيب ظنه بقبول " العرض/ النصيحة" و مهما كان الخلاف إلا أنه لا يفسد للود قضية..

مذكراً أن السلطة التي يصنعها الوهم، يدرك بنتائجها و كيف تتحول الى مصالح خاصة و ذاتية ، الراكب فيها أما يجري في طريق لا يرغب السير فيه ! و إما يحشر داخل عربة تنحدر على سكة هابطة لا يعرف أين و متى سترتطم بالمجهول ؟

ذات يوم وقع ما يخشاه الحكيم أن تصبح القيادة أهم من السلطة و السلطة أهم من الوطن ، و في النهاية يفضى الانشقاق الدائم الى مرحلة الشرخ الشامل

في غياب الحكيم،

نتحسس أوجاعنا الفلسطينية و العربية

عباس الجمعه

نقف أمام الذكرى السنوية الثامنة لرحيل القائد والمناضل الفلسطيني العربي الأممي الشهيد الكبيرالدكتور جورج حبش أحد أكبر مؤسسي حركة القوميين العرب و مؤسس و زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ،قائد و زعيم تاريخي تنازل عن منصبه طوعا ليقدم بذلك مثلا رائعاً و مميزاً لقادة يحكمون من المهد إلى اللحد .

غادر موقعه كأمين عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمحض إرادته لأنه آمن بالديمقراطية و التجديد، و أصر على ترك موقعه على رغم مطالبة رفاقه له بالبقاء، صحيح أنه غادر موقعه ، و لكنه بقي على مواقفه و مبادئه و قناعاته، و كانت وصيته التمسك بالمبادئ و مواصلة النضال و المقاومة و تحقيق الوحدة الوطنية كشرط للانتصار و تحرير فلسطين.

لقد كرس الشهيد القائد جورج حبش حياته في النضال من أجل فلسطين ،و دافع عن الثوابت الوطنية الفلسطينية وعلى رأسها القدس و مقدساتها و حق العودة، و كان موقفه المميز "لن أعود إلى أرض فلسطين إلا مع آخر لاجئ فلسطيني"، نعم القائد جورج حبش لعب دوراً بارزاً في النضال الفلسطيني

و التحرري العربي، لما تمتع به من شخصية ثورية قيادية أهلته لأن يقود مسيرة كفاح طويلة، و امتزجت نضالاته الفلسطينية من أجل التحرير الناجز لكامل التراب الفلسطيني مع نضالاته من أجل لحمة النضال الفلسطيني الوطني و العربي القومي.

لقد أتيح لي أن أتعرف على الشهيد القائد الدكتور جورج حبش في إحدى الندوات في مدينة صور قبل اجتياح عام 1982 للبنان، حيث كان حديثه في ذاك الوقت عن الأوضاع السياسية الراهنة ، حيث وجدت في حديثه إيماناً و ثباتاً قل نظيرهما، و ببساطة نادرة، حيث كان حريصاً على المبادئ لا يفرط في حق، و لا يساوم في مبدأ.

و نحن في ذكرى حكيم الثورة نقف أمام ما يتعرض له شعبنا الفلسطيني من عدوان همجي صهيوني مستمر بحق الشجر و الحجر و البشر، بينما تعصف حالة من التشرذم و الانقسام لم نشهد لها مثيلا منذ اغتصاب الكيان الصهيوني لفلسطين، فالضفة الغربية لا تزال محتلة برمتها و غزة محاصرة من جميع الجوانب، حيث يضرب البعض من أصحاب المصالح تطبيق اتفاق المصالحة و إنهاء الانقسام بعرض الحائط واضعين مصالحهم الشخصية الفئوية الضيقة فوق كل المصالح العليا لأعدل و أطهر قضية عرفها التاريخ المعاصر، و في حين ينتظر البعض أن تعود المفاوضات العبثية مع الاحتلال، و لكن لم يعلم هؤلاء بأن انتفاضة شباب و شابات فلسطين و معها أغلبية الشعب الفلسطيني تعيد زمن الصمود، و المواجهة مع الاحتلال و قطعان مستوطنية لتعديل ميزان القوى، و توحيد الطاقات و

الجهود و الإمكانات الوطنية، هذه الانتفاضة بوصفها الخيار الوحيد القادر على إفشال مخططات الاحتلال ، حيث تختزل خريطة فلسطين الوطن بدماء شهدائها ، فالشعب الفلسطيني المنتفض و المستعد للعطاء و التضحية بلا حدود، بات متقدماً، في وعيه الوطني و استعداده الكفاحي و مبادراته الشجاعة، على أكثرية قياداته غير القادرة على تجاوز المنظومة الفكرية و السياسية و الأمنية و الأخلاقية و النفسية و الانقسامية.

لذلك نقول في حضرة الذكرى السنوية للقائد الشهيد جورج حبش أن الشعب الفلسطيني يعيش مرحلة تحرر وطني، لا يجوز فيها، بحال من الأحوال، تقديم التناقضات الداخلية على التناقض الأساس مع الاحتلال، و تقتضي هذه المرحلة ممارسة جميع أشكال المقاومة، و توحيد أدواتها و مرجعيتها، فلا بجوز شرذمتها و اختزالها في شكل معين، فيجب على الجميع اغتنام فرصة الانتفاضة الجارية لتوحيد الصف الوطني من خلال إنهاء الانقسام الكارثي و تعزيز الوحدة الوطنية ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية و تفعيل مؤسساتها على أرضية شراكة وطنية حقيقية و رسم استراتيجية وطنية و تطبيق قرارات المجالس الوطنية و المركزية و تشكيل حكومة وحدة وطنية تشرف على إجراء الانتخبات الرئاسية و التشريعية ، باعتبار ذلك محطة لاستعادة ثقة الشعب الفلسطيني بالفصائل و القوى.

و في هذه اللحظات نرى أهمية التمسك بمواقف حكيم الثورة الشهيد القائد جورج حبش ، و رفاقه الشهداء القادة، الرئيس الشهيد القائد ياسر عرفات و أبو العباس و طلعت يعقوب و أبو جهاد الوزير و أبو علي مصطفى و أبو

أحمد حلب و سمير غوشة و أبو إياد و عمر القاسم و فتحي الشقاقي و بشير البرغوثي و أحمد ياسين و عبد الرحيم أحمد و زهير محسن ، بأن الشعب الفلسطيني شعب التضحيات ، هذا الشعب المؤمن بثورته و نضاله و انتفاضاته وهباته ، يستدعي من الفصائل والقوى والأحزاب الفلسطينية إعادة مسار الثورة و النضال الى مكانته حتى يبقى الجميع وفيّا لكل شهداء فلسطين، ملتزماً بالمبادئ العظيمة التي ضحوا بأرواحهم من أجلها و وفيّا لأسر الشهداء و الجرحى و الأسرى المناضلين الصامدين ، و هنا بالضبط تتبدى الضرورة التاريخية التي تتطلب تركيز أهدافها و مهماتها الثورية عبر الانتفاضة المتجددة ، و أن يتحمل الجميع مسؤولياته في ذلك، باعتبار أن الانتفاضة تشكل في هذه المرحلة طليعة النضال الوطني الفلسطيني ، و تجسد معاني الكفاح من أجل تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي.

فالشهيد القائد جورج حبش و رفاقه الشهداء من الأمناء العامين لفصائل الثورة شقوا طريق الكفاح و رسموا فيها أسلوباً نضاليا و ما زالت العيون شاخصة باتجاه تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة.

و أمام هذه الأوضاع و نحن نقف في غياب الحكيم نتحسس أوجاعنا الفلسطينية و العربية، لقد حاولت الدول الاستعمارية و الصهيونية العالمية و الرجعية العربية اغتيال طموحات الشعوب من خلال القوى الإرهابية التكفيرية المتخلفة بهدف سرقة خيرات و ثروات الأمة العربية و محاولة رسم سايكس بيكو جديد، و لكن الشعوب العربية و قواها الحية و مقاومتها

لم تسقط من حساباتها التزاماتها تجاه فلسطين، رغم إدراكها التام بأنها تدفع ثمن وفائها للقضية المركزية فلسطين.

ختاماً: لا بد من القول، ستبقى سيرة المناضل و القائد الكبير جورج حبش تتناقل دروسها الأجيال، لأنه ترك لنا أمثولة و ملحمة من ملاحم الصبر على تحمل العذاب، حتى استعادة حرية فلسطين.

معادلة: الحكيم جورج حبش كان مسيحيا مسلما

حمدي فراج

لم يعش جورج حبش ليرى هذه الانتفاضة التي توحي جميع معطياتها أنه تنبأ بها، و أفنى حياته الطويلة العامرة لترسيمها و ترسيخها عندما أطلق شعاره الخالد "هذا الصراع قد يمتد مئة سنة أخرى ، فعلى قصيري النفس أن يتنحوا جانباً"، كان ذلك بعيد الخروج من لبنان قبل ما يزيد على ثلاثين عاماً ، لكنها قبل أيام أعيدت على مسامعنا في جنازة الطفل الشهيد مأمون الخطيب من بلدة الدوحة على لسان أمين سر حركة فتح في بيت لحم الأخ محمد الجعفري

بعيد ما سمي بنكسة حزيران قبل نحو خمسين عام ، قال: "إنها هزيمة أوضاع عربية و هزيمة أنظمة عسكرية و هزيمة بنية الحركة الوطنية العربية، وإن الثورة الفلسطينية قامت لتحقق المستحيل و ليس الممكن" ، وعن اتفاقية أوسلو قال إنها تفوق في نتائجها معاهدة كامب ديفد ، و لهذا أطلق عليه ياسر عرفات حكيم الثورة و ضميرها .

ما يهم في هذا الاستذكار لهذا القائد الفلسطيني الفذ ، ليس فقط ثماني سنوات على رحيله ، كأنها دهر بأكمله ، لما تعيشه منطقتنا العربية في خضم من الأمواج العاتية التي تكاد تتحول إلى تسونامي من الاحتراب و

التقتيل و التهجير و التدمير و التخريف الفئوي و الطائفي، تسونامي يضرب في مبادئنا و معتقداتنا و أولوياتنا و أهدفانا و تحالفاتنا بحيث بتنا لا نستطيع التمييز بين الغث و السمين ، بين الصواب و الخطأ ، بين عدونا و صديقنا ، و هو الحكيم ، الذي أكد على أولوية كل ثورة و كل تحرك مناهض للاحتلال ، من ضروة تحديد معسكر الأعداء متمثلا في الصهيونية العالمية التي تقابلها الثورة الفلسطينية، و الرجعية العربية التي تقابها جماهير الأمة و حركاتها التحررية ، والإمبريالية العالمية التي تقابلها الدول الاشتراكية و معها الأحزاب التقدمية في العالم ، و لكننا اليوم في العالم العربي بتنا نخلط بطريقة عجيبة بين كل هؤلاء،فيصبح الصديق عدواً ، وتصبح الإمبريالية العالمية صديقتنا السرمدية وهي التي منحت إسرائيل دولة على أرضنا ، في حين يصبح النظام العربي المغرق في التخلف و التبعية حليفنا المأمون و المأمول كي يضغط على الإسرائيلي أن يحسن احتلاله لشعبنا و أن ينظم استيطانه لأرضنا و أن يسمح لنا بدفن أولادنا .

بعد ثماني سنوات على الغياب ، كم نشعر أن الثورة فقدت بريقها و أبجدياتها، و البوصلة فقدت اتجاهها، إن مكانك شاغر في الحزب و الثورة، و أنت القائل : "أنا إسلاميّ التربية، مسيحيّ الديانة، اشتراكيّ الإنتماء" ، لم يكن آنذاك ما نحن فيه اليوم من سني على شيعي و داعشي على نصراوي ، و خليجي على يمني و تركي على سوري و إيراني على سعودي .

صفحات من مجد تكتب لمجرد ذكر الاسم

جعفر أبو صلاح

مع حلول الذكرى الثامنة لرحيل رجل قلَّت مثله الرجال حمل كل الألقاب و الأسماء بجدارة.

و كان لكل لقب سبب يجعل الآخرين يتناقلونه بدون تردد، الحكيم لحكمته في إدارة التناقض الداخلي و التعارض بين المواقف داخل الساحة الفلسطينية فبالرغم من خطورة تلك الخلافات و محاولة البعض الذهاب بالمشروع الوطني و القضية برمتها إلى مهب الريح، كان الحكيم بحكمته و وعيه و قدرته على التاثير يجعل الآخرين يتراجعون عن الخطيئة في اللحضات الأخيرة و بحكمته أيضا تجاوز كل الخلافات التي كان البعض يحاول أن يجعل منها تناحرات تصل حد الاحتراب.

لكن الحكيم كان يعالج كل تلك الحالات و المؤامرات و الإرهاصات و يوظفها كعوامل قوة تتوحد فيها كل الجهود، فكان يقلب السحر على الساحر و يحول المؤامرة على القضية إلى برنامج وطني تتجدد فيه الثوابت.

و مثال على ذلك قدرته على إلغاء مجلس عمان و استبداله بالموتمر التوحيدي في الجزائر فكان الضمير الحي الذي يرى الشعب و القضية مسؤولية تاريخية لا يغفل صغيرة و لا كبيرة إلا و يتم التعامل معها من

منطلق الحكمة و الإدارة الصحيحة و بمسؤولية و ضمير حي كان دائماً متفائلاً متجدد الثقة و الأمل بشعبه .

و من أجل مصالح شعبه

جورج حبش إسم لمجرد أن يذكر، تقف الأعداء على رجل واحدة، لأنها تشعر أن زلزالاً قد يحصل و الخصوم تخشى على كل مصالحها و الأصدقاء تثق بنجاح كل برامجها و ينتظروا ليسمعوا جيداً ماذا يعني ذكر الإسم، لأن اسم جورج حبش لم يكن يلفظ عابراً أو لمجرد إسم في الأخبار، بل كان يعطي للقضية الفلسطينية معناها و شرعيتها و للأمة العربية هيبتها و للأخبار و الصحف مبرر وجودها و قيمتها.

جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية هكذا كانت تتناقل الخبر وسائل الإعلام كان إذا دعا للوحدة الوطنية تثق الجماهير بأن الوحدة تتحقق.

و إذا دعى للمقاومة تثق المقاومة أنها في الطريق الصحيح.

دافع عن بيروت و صمد في بيروت و بكى من أجل بيروت.

جورج حبش حكيم الثورة يعلن عن جبهة الإنقاذ ليس بديلاً عن منظمة التحرير بل لاعادة المنظمة إلى صوابها.

جورج حبش يعلن عن إنهاء الخلاف مع القيادة الرسمية بعد أن ألغت القيادة الرسمية موتمر عمان و قرارته.

جورج حبش يعلن عن حل جبهة الإنقاذ بعد أن حققت أهدافها بإعادة منظمة التحرير إلى صوابها.

جورج حبش يدعو الرفاق لأن يكون إعلان الاستقلال خطوة لتجسيد الدولة على الأرض و نقلها من حلم إلى واقع يتجسد عبر المقاومة.

جورج حبش يعلن الاستقالة من قيادة الجبهة الشعبية ليس هروباً من المسؤولية و لا ترفعاً عن المهمات، بل ليعطي لقيادات جديدة متجدد الدم فيها لقيادة مرحلة المقاومة على الأرض.

جورج حبش يرحل و هو يسئل ماذا جرى في غزة، و عندما علم أن أهلنا في غزة قد اجتازوا السياج بين رفح المصرية و الفلسطينية بكى و قال الوحدة طريق العودة و شعبنا سينتصر.

قبل أربعة و ثلاثين عاماً كان عمري ستة عشر عاما، كانت أحداث بيروت والاجتياح الصهيوني هناك و كان صمود بيروت و في القلب منها جورج حبش و مقاتلي الثورة.

كانت إذاعة صوت الثورة تصدح بالأغاني و الأهازيج و قد تولد لدي شعور بالواجب الوطني مع بدايات الشباب كنت أردد بعض الأغاني.

في إحدى المرات فوجئت بأحد رجال حارتنا يقول لي:

لا تلتفت لهذا، لا يوجد عرب، و لا يوجد ثورة كلهم كذابين و متآمرين قلت له و الفدائية؟.

قال: متآمر عليهم و البعض منهم يمشي مع التيار...

توقف و قال : فقط يوجد شخص اسمه جورج حبش، لا تؤيده زعامة العرب الخائنة، يقولون إنه مسيحي و هو أشرف منهم

جميعا.

سألته و من هم جماعته؟.

قال: الجبهة الشعبية و من جماعته ابن حارتنا ،مصطفى ابن الحاج علي العلي،عرفت فيما بعد أنه أبو علي مصطفى،

و منذ ذلك التاريخ أدركت بأن هذا الاسم الذي أثر في رجل على أبواب العقد الخامس في ذاك التاريخ لابد إلا أن يستحق البحث و هو جدير بالاحترام.

نعم هذا هو جورج حبش، هو مثل كل الأحرار، وهو قدوة كل الثورين الذين لن يموتو أبدا، و هو من قال إن المشروع الصهيوني و الاستعماري قد يستمر أكثر من مئة عام.

لم يوهمنا أن الطريق هين و مفروش بالورود، بل قال إنه متعب و شاق، لكنه حثنا على القراءة و المعرفة و الثقافة لكي نعرف من نحن و أين نحن و من هو عدونا.

وهو من قال ثوروا فلن تخسرو سوى الذل و الهوان، و هو من دعانا الى الوحدة دائما.

لإدراكه خطورة الفرقة لهذا قال مجرم من ينقسم على شعبه و مجرم من يؤيد الانقسام و مجرم من يدعمه و يمارسه.

جورج حبش من دعانا مع بدايات الانتفاضة الأولى أن نأخذ بأيدي عناصر المقاومة الإسلامية الى ساحات المواجهة مع العدو لأنه كان يدرك أهمية شمولية المعركة و تضافر الجهود و الوحدة في الميدان .

هذا هو جورج حبش.

وجد من أجل شعبه و قاد شعبه و رحل وعيونه شاخصة على جماهير شعبنا الصابرة.

هذا هو الحكيم و الضمير و القائد، أسس الفكرة و مارسها و أرسى دعائمها بالقول و العمل.

حكيم السياسة، و سياسة الحكمة

وديع أبو هاني

عانت أقدام الحكيم منذ طفولته رحلة العذاب و الشقاء و المعاناة مع أبناء شعبه، فقد كان يوم 11 تموز من عام 1948 بالنسبة له بداية درب الآلام وطريق الجلجلة عندما شرد مع أهله و شعبه و حوصرت مدينته اللد، فكان ذلك اليوم للحكيم كما يروي يوماً أسوداً.

إنها البدايات التي شكلت المشاعر و نمت الوعي الوطني لمناضل شاهد منذ نعومة أظفاره بطش و ظلم الاحتلال، و اكتوت أرجله في مسيرة الطرد و الترحيل لأبناء عشرات القرى التي دمرت و هجر أبناؤها قسراً بفعل جرائم و بطش العصابات الصهيونية المدعومة استعمارياً، و بصمت و تخاذل جيش الإنقاذ العربي آنذاك الذي لخص موقف و طبيعة النظام الرسمي العربي الذي ما زلنا ندفع ثمن عجزه منذ نكبتنا الفلسطينية العربية عام 1948، و في الهزائم المتلاحقة حتى الآن، و ما واقع و مواقف الجامعة

العربية إلا تعبير و محصلة لمآل مؤامرة ما زالت تنسج خيوطها ضد شعبنا و حقوقه الوطنية.

إنها رحلة البداية لفلسطيني اختزل في ذاكرته معاناة شعب لتكبر الحكاية.

رحلة إنسان و قائد تمتع بحس مرهف و مشاعر إنسانية وعاطفية، اتسعت لتكون مشروع رؤية وطنية لقائد حكيم استطاع مع رفاق دربه أن يطرح و يجيب على السؤال الكبير، وهو لماذا هزمنا؟

وعلى مدار مسيرة حياته و نضاله ثابر حتى لحظة استشهاده و هو يحاول توفير كل عوامل و أسباب النصر و الوجود لشعبٍ وهوية، و لقضية عادلة وطنية و قومية و إنسانية ، و أسهم فكرياً و ثقافياً و نضالياً و على كافة الأصعدة و بأساليب النضال المختلفة من أجل تكريس الهوية الوطنية لشعب تمتد جذوره عبر التاريخ.

إنه الحكيم الإنسان، الذي تجد فيه براءة الطفل و صفاء الروح و الأمل القادم، و تجد في مقامه و مقاله و بثقة عميقة كل ما يبعث على التفاؤل الحتمي و التاريخي بالانتصار، بإرادة لم تكل و بقبضة لم ترتخِ في أصعب الظروف.

فكان الأب و الرفيق، فلا يكاد طفل أو امرأة أو شيخ أو عائلة شهيد أو جريح أو أسير يلتقيهم إلا و يجدوا فيه القلب الدافئ و الحاضنة الوطنية المسؤولة، هو الذي وثق به و احترمه الجميع حتى من اختلف معه، و لم

يدر ظهره أو يوصد الأبواب أمام أي عائلة فلسطينية طرقت باب مكتبه و قصدته بمساعدة أو لقاء.

يلخص الحكيم الإنسان كل المعاني الإنسانية و القيم الأخلاقية و النضالية التي عكسها و عمل على تجسيدها في أوساط و صفوف مدرسته النضالية، و في عموم ساحتنا الوطنية و علاقات الثورة قومياً و أممياً، فهو الإنسان الثائر و الحكيم و القائد، إنه الأمل المفعم و إرادة القوة و التصميم الذي جعله يتبوأ موقعه كقائد و حكيم يملأ صداه أرجاء المعمورة ، و على مساحة المناضلين الثوريين من أجل الحرية و التحرر و الكرامة و الديمقراطية، من أجل الاستقلال و العودة، و هو القائل بأنني لن أعود إلى الوطن إلا مع آخر لاجئ فلسطيني.

القائد الذي تمتع بنظرة ثاقبة و ديالكتيكية رغم تعقيدات المشهد النضالي الفلسطيني، و رغم حدة الخلاف و الصراع الداخلي في أوقات كثيرة، إلا أنه أمسك بقانون الوحدة و الصراع و غلب الوحدة في الميدان و في ساحات الانتفاضة و كان يردد مع القائد الراحل أبو عمار (وحدة وحدة حتى النصر).

رغم الصراعات العربية و انعكاساتها على القضية الفلسطينية و التدخلات الاقليمية لم يستقو الحكيم أبداً بمحاور و أجندة خارجية، و كانت قضية شعبه و اللاجئين و المخيمات خصوصاً أولوية له دفاعاً عنها و حماية لها، فلم يقاتل بسيف أحد، و لم يستقو بأطراف خارجية على الداخل الفلسطيني و

كان يعي بدقة و جدلية، و يربط بين استقلال القرار الوطني الفلسطيني و المسؤولية القومية في مواجهة المشروع الصهيوني الذي يستهدف الأمة العربية حاضراً و مستقبلاً.

إنه الحكيم و القائد الذي جمع بين صنوف السلاح، و أجاد كافة وسائل النضال و استخدمها في معارك الثورة المختلفة.

القائد الذي جمع بين أنواع و مؤهلات القيادة، فكان القائد الديمقراطي بامتياز و الحازم و التكنوقراطي بحكم كفاءته الأكاديمية و بتناغم لم يطغ شكل بيروقراطي أو استبدادي على الأسلوب الديمقراطي الذي حكم قيادته الجبهة وعلاقاته الوطنية، فاستحق بجدارة لقب الحكيم، و احتل كقائد قلوب محبيه و شعبه.

رغم تقدمه في السن و اعتلاء الوقار و الثلج الأبيض رأسه، لم ييأس و لم يحبط و بقي التفاؤل الثوري سيد الموقف عنده.

بقي الحكيم وهو على فراش رحيله و حتى اللحظات الأخيرة من حياته يسأل عن حصار غزة و الوحدة و المقاومة و الانتفاضة، يسأل عن الوضع العربي و مصير الديمقراطية، ظل مؤمناً بالتغيير الحقيقي و التجديد الديمقراطي و التفاؤل الثوري التاريخي كسمة لنضالات الشعوب المكافحة، كان مؤمناً بشمس قادمة، و ضوء سيضيئ النفق المظلم و يبدد الواقع العربي المرير.

في ذكراك، و بعد رحيلك يا حكيم، لم تفارقنا لحظة، و ما زالت روحك ترفرف و ترافقنا و تصعد بنا إلى الأعلى، و ما زالت قيمك نبراساً و بوصلة للشباب الفلسطيني و العربي الذين آمنت بدورهم و موقعهم و جسدت التجديد حقيقة، اليوم شباب الانتفاضة و الشباب العربي و أحرار العالم لم يضلوا الطريق، رغم سيطرة شريعة الغاب و ما زالوا يشددون الحصار و المقاطعة للمشروع و للمصالح الصهيونية.

كما كنت الرجل الذي هز العالم أكثر من مرة، ما زالت قيمك و أفكارك تطرق جدران الخزان في مدرستك الجبهاوية و الوطنية و القومية.

نم قرير العين يا حكيم، فمن آمن بنهجك و قيمك لن يستوحشوا طريق الحق لقلة السائرين فيه، فأنت صوت الحق، و قضيتك التي آمنت بها هي الحق المطلق التي ستنتصر مهما طال عمر البغي و الباطل، و مهما عظمت التضحيات.

ففلسطين ستعود حرة محررة و سيعود اللاجئون إلى أرض الأجداد و الآباء و إلى ممتلكاتهم التي شردوا منها عام 1948.

صنعتني التجربة، لست منظراً أكاديمياً أو مدرّساً، النظرية عندي هي تفاعل مع الواقع وليس فوقه، هي ضرورة للفعل الثوري أثناء حركته وليس مجرد مقولات جامدة!.

جورج حبش

الفصل الثالث

بقلم الحكيم

تم اختيار مادتين فقط مما كتب الحكيم لنوعيتهما المعبرة، و حيث أن هذا الكتاب لا يتسع لعشرات المقالات و الكتب و الخطابات الناجزة من قبله

غسان كنفاني، براعم في ذلك الوقت

بقلم د . جورج حبش

- **كتبت بمناسبة الذكرى الثامنة لاستشهاد غسان كنفاني-**

معرفتي بغسان تعود إلى منتصف الخمسينات، كانت حركة القوميين العرب تصدر مجلة "الرأي " في الأردن و قد اتخذت السلطات الأردنية قراراً بإيقافها بسبب التفاف قطاعات واسعة من الجماهير في الأردن حولها، فقررنا إصدارها في دمشق، وتهريبها ثانية إلى الساحة الأردنية، كان ذلك في عام 1954 أو 1955 لم أعد أذكر الآن بالضبط.

و في دمشق كان من الطبيعي أن يلتف حول المجلة، مجموعة من الشباب الفلسطيني والعربي، وأذكر من هذه المجموعة الشابة،غسان كنفاني ، وبلال الحسن، وفضل النقيب، وعصام النقيب، وأحمد خليفة...
و قد بدا واضحاً أن هذه المجموعة من الشباب تتميز بالنباهة، وتمتلك حداً معيناً من القدرات والطاقات، ولديها ارتباط وثيق بالقضية الوطنية..
كانت هذه المجموعة من الشباب ، براعم في ذلك الوقت ، لم تتفتح بعد.
و كان غسان من أبرز وجوه المجموعة، و منذ ذلك الوقت كان متميزاً، شاباً حيوياً، نضراً، تتوافر فيه روح من السخرية اللاذعة والمرح..

واضحٌ فيه العطاء، وافر المشاعر، أعتقد بأن عمره في ذلك الوقت كان بحدود 19 سنة..

أحياناً كانت تجمعنا معاً لحظات ود صافية، طبعاً عدا أوقات العمل، وفي تلك اللحظات كان يحدثني عن فلسطين، عن الهجرة، الأيام الأولى القاسية التي عاشها في دمشق، لم أعد أذكر كل تلك القصص بشكل دقيق..

و هو في ذلك الوقت كان يعمل – على ما أعتقد- ببيع الصحف، أو شيء آخر مشابه.

طبعاً حديث غسان عن نفسه، كان يأخذ شكل الحديث عن الجيل الذي ينتمي إليه، و بعد ذلك عمل مدرساً في أحد المخيمات الفلسطينية في دمشق وعلى الصعيد الأدبي،لا أدري إن كان له في ذلك الوقت إنتاج ما، و لكنني أذكر تماماً مساهمته في مجلة "الرأي" حيث لم تكن تقتصر هذه المساهمة على الأدب فقط..

بعد ذلك حدثت فترة انقطاع في العلاقة بيننا، بسبب عودتي إلى الأردن عام 1956، بعد طرد "كلوب" .

ظل اسم غسان كنفاني من ضمن مجموعة من أسماء الرفاق المتميزين في الذاكرة، بسبب حضورهم الخاص، وعادت علاقتنا بعد فترة الانقطاع التي قضيتها في الأردن مرة أخرى أثناء عودتي إلى دمشق عام 1959، وفي هذا الوقت على ما أعتقد كان غسان قد عين مدرساً في الكويت...

جاء التزامه بحركة القوميين العرب بعد فترة من عمله في مجلة " الرأي" وسافر إلى الكويت ليعمل هناك، وعندما يعود إلى دمشق في العطلة

الصيفية كنا نلتقي، فيحدثني عن حالة الملل التي تصيبه من جراء عمله في الكويت. كان يقول أن الكويت ليست هي المكان المناسب له، وأنه يقوم بهذه المهمة مضطراً، وأيضا كعادته، كانت له قصص مع المعلمين، عن "الشيوخ" والأمراء، لقد كان ظريفاً وقصصه دائماً لها معانٍ .

منذ ذلك الوقت كان حسه بالصراع الطبقي حاداً، وقصصه الصغيرة وحكاياته التي كان يحدثني بها عن الوضع في الكويت كانت تعبر عن فهمه للصراع الطبقي.

أيضاً، لا يخلو الأمر من حديث عن الأدب، فكان يحدثني ويضعني في جو مشاريعه الأدبية وأول عمل قصصي حدثني عنه القصة التي تحمل عنوان "موت سرير رقم 12"، إنني ما أزال أذكر ذلك.

الحرية ..ومحطة جديد من العلاقة:

المحطة الجديدة على صعيد العلاقة بيننا، عندما قررت"الحركة" إصدار مجلة "الحرية" كان من الطبيعي جداً أن أفكر بغسان ، لقد حدثته أنا عن التفرغ في الحرية ومع مجيئه بيروت انفتحت أمامه آفاق العمل الصحفي والأدبي ، وفي لبنان تبلورت شخصيته وتفجرت طاقاته الأدبية وعلى ما أعتقد في عام 1964 قررنا إصدار نشرة "فلسطين" التي صدرت كملحق لجريدة " المحرر" اللبنانية فتولى مسؤوليتها غسان.

وفي هذه الفترة بالذات بدأت ألمس ميوله الدراسية والنظرية المتعلقة بإسرائيل ومشاريعها، كانت رغبته واضحة في تتبع ذلك.

بعد فترة تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ولما كانت حاجتنا الماسة لإصدار مجلة اتجهت الأنظار إلى غسان والحقيقة أن غسان بادر إلى ذلك فجاء إلى الأردن، حيث كانت قيادة الجبهة، وطرح علينا مشروع المجلة وكلف بإصدارها فكانت مجلة الهدف.

ظل غسان يحضر إلينا بمعدل مرة أو مرتين في الشهر، وطبعاً كنا نناقش وضع المجلة، خطها السياسي ،توجهاتها، وهو كما هو معروف عنه كان يلتقط بذكاء ونباهة كل ذلك ويترجمه عملياً.

وفي هذه الفترة لعب غسان دوراً بارزاً في التعريف بالجبهة على الصعيد العربي والعالمي، فهو بالإضافة إلى كونه رئيس تحرير "الهدف"، كان الناطق الرسمي باسم الجبهة،ولقد لعب دوراً في إبراز خط الجبهة في أوساط العالم التقدمي ووثق علاقتنا مع قوى طليعية وتحررية عالمية أخرى...

لم تكن المبادرة تنقص غسان.

علاقة حميمة في لبنان:

علاقتنا الحميمة و القريبة توطدت عندما حضرت إلى لبنان،و كان ذلك في العام 1971 وتوفرت فرص مكثفة للقاء والحوار، عدا تلك اللقاءات والاجتماعات التي كانت تنصب لمناقشة خط المجلة ومواضيع العمل السياسي والإعلامي المختلفة..

أذكر تلك الآحاد (أيام الأحد) التي كنت أقضيها مع غسان ضمن جو عائلي ، كان يسكن في الحازمية، وكنت أذهب وعائلتي إلى بيته، وهنا

يحضرني مرح وتعليقات غسان التي كانت تبدأ عن " صحن السلطة " وتنتهي بآخر كتاب طالعه...

من الصعوبة بمكان وصف غسان، كان يمتلك جانباً إنسانياً كبيراً، يمازح فايز وليلى" إبنيه"، ويتحدث لا ينقطع عن الحديث، وأذكر في تلك الفترة كان يقرأ بكثافة ، وأذكر مكتبته فقد عملها بشكل فني، كانت مدهونة بالأبيض، و مكتظة بالكتب، وكان يقرأ بنهم وغزارة حتى لأستغرب كيف كان يجد الوقت الكافي لهذه القراءات، وبالنسبة لي كنت مشغولاً في ذلك الوقت بحيث لا أجد الوقت للقراءة، لذا كنت أستفيد من لقاءاتي بغسان، بالإضافة إلى ذلك كان يحدثني ويعرفني بالكتب الجديدة الصادرة ، أما اهتماماته في تلك الفترة فقد انصبت على دراسة تاريخ النضال الفلسطيني والعربي دراسة معمقة. كان يلتقط أشياء جميلة وذكية من خلال هذه القراءات.

وكان يتابع بالإضافة إلى ما يصدر من كتب على الصعيد العربي والعالمي ما يصدر من أدبيات ونشرات عن الثورة الفلسطينية متابعة دقيقة، ويضعني في جو هذه المتابعات ، لقد كان يسد فراغاً كبيراً بالنسبة لي ، يقرأ لي ويحدثني عن مشاريعه الأدبية، و كنت أعطيه انطباعي العام الشخصي عن قصصه ومشاريعه.

قبل استشهاده بفترة ليست طويلة، جمعنا جو عمل مزدحم ومكثف، كان من ضمن اللجنة المكلفة بصياغة التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر الثالث

للجبهة، وكانت فترة عمل مزدحمة ومكثفة، نأتي صباحاًنقرأ ونكتب، نحذف هنا، ونشطب هناك، نتوسع..

أعتقد حدث ذلك في نيسان من عام استشهاده، وهذه الفترة كانت آخر فترة عمل من نوعها.

كان ديمقراطياً... و في الاجتماعات كان يرسم :

من الصفات المعروفة عن غسان أنه كان ديمقراطياً، فهو لا ينفعل عندما تأتي انتقادات الفروع على "الهدف" ، قد يبدو منفعلاً ولكنه في الحقيقة يلتزم بالموقف الديمقراطي، وكان ملتزماً ولهذه الكلمة معناها الخاص خاصة في تلك الفترة، وصفة الالتزام صفة لا تُنسى في غسان، فمن كان يتسم بالانضباط والالتزام كان يعد ذلك أمراً هاماً..

لقد كان التزامه حاداً فيما يخص القضايا المركزية الحاسمة.

في الاجتماعات كان أحياناً يرسم وأذكر لوحة الحصان التي رسمها في أحد الاجتماعات ومررها علي ،لم يكن يعتبر غسان الرسم فعالية هامة بالنسبة إليه كان يرسم لمجرد الرسم.

و يوم اغتياله أذكر لا تزال بخاطري، كنت مريضاً، ومقيماً في خارج بيروت و قدر " الشباب" أن خبراً مثل خبر استشهاد غسان لا يمكن له أن يُخفى ،فأرسلو "أبو ماهر" إلي، قالي لي: "صار حادث مع غسان وهو الآن بالمستشفى ".

طبعاً أدركت... و كان أول شيء فعلته أنني كتبت رسالة إلى "آني" ولا يزال يحز في نفسي إن أوضاعي الصحية في تلك الفترة لم تسمح لي بالمشاركة في جنازته..

لقد كان غسان كبيراً قبل استشهاده، واستشهاده زاده كبراً.

غسان ...الرفيق الظريف

أحب غسان عائلته كثيراً، وخصوصاً أخته "فايزة " أم " لميس" التي هي أيضاً منحها الكثير من حبه و وقته، فقد كان يرسم لها صوراً، ويكتب لها الرسائل، كان يحب أخوته كثيراً، ومن نفسه كان يسخر كثيراً، وخصوصاً من مرض السكري الذي كان يعانيه.

كثيراً ما كان يحدثني ساخراً عن الأبر التي يتعاطاها ضد السكري وقبل استشهاده،كان ثمة تخوف من محاولة اغتياله، ولكن غسان من النوع الذي يحب عمله إلى درجة لا يمكن أن تحول دونه أية إجراءات أمنية.

الظرف، والمرح، والسخرية، كانت مزايا خاصة في شخصية غسان، وكثيراً ما كانت تطال نكاته الرفاق في المكتب السياسي، و خاصة الرفيق الشهيد (وديع حداد) الذي كان معروفاً بكثرة نسيانه، فكان غسان يدبلج النكات عليه و يعطيها من خياله مستمداً هذه النكات من بعض الوقائع الصغيرة.

المفارقة التي يتحدثون عنها بين شخصية غسان الوادعة والمرحة وجسمه الناحل وبين التزامه الشديد بالقضية، وإيمانهبالعنف الثوري طريقاً

لحلها،أعتقد أنا أنها ليست مفارقة، فقد كان ثمة انسجام شديد بين هذين الوجهين.

نشرت في مجلة الهدف – العدد 496

تاريخ12 /1980/7

أزمة اليسار العربي ... إلى أين ؟

بقلم د. جورج حبش

لا يمكن الحديث عن أزمة اليسار العربي ، وأسباب حالة الانكفاء والتهميش التي وصل إليها اليوم دون مراجعة تاريخ هذه الحركة، والوقوف أمام أخطائها ومنعطفاتها على مستوى التكتيك والاستراتيجيا. ولا بدّ أيضاً من النظر إلى الموضوع من منظور تاريخي جدلي يدقق ويتفحّص الصيرورة التاريخية لحركة اليسار العربي، وأهم المفاصل والمحطات التي مرّ بها ارتباطاً بالظروف الموضوعية والذاتية، الداخلية والخارجية.

إن نظرة تقويمية لحركة اليسار العربي ، تفتح باب الأسئلة حول تجارب الأحزاب اليسارية العربية، بجناحيها الشيوعي والماركسي القومي، خاصة وأن كثيراً من القراءات لتجارب هذه الأحزاب باتت تسلّم بإخفاقها عن استيعاب ووعي حركة الواقع، وبالتالي فشلها في تغييره .

كذلك لا نستطيع التحدث عن يسار عربي دون أخذ واقع التجزئة بعين الاعتبار، فعدم إنجاز مسألة الوحدة العربية كرّس الواقع القطري ، الذي أفرز بدوره قوى يسارية قطرية طرحت على نفسها برامج ومهمات على مستوى قطري، أما الأحزاب اليسارية ذات التوجّهات العربية القومية فقد وجدت نفسها عاجزة عن التأثير والفعل العملي على مستوى القضايا

القومية، وانحصر جهدها في المستوى النظري، حول إشكاليات القومية والأمة والعروبة والتجزئة والوحدة ، وقد كُتب الكثير حول هذه القضايا من قبل مفكرين عرب يساريين، وقوى وأحزاب، لكن على الصعيد العملي تعمّق واقع التجزئة، وتبخّر حلم الوحدة ، وتمزقت الهوية القومية إلى هويات جهوية مجزّأة، ولم تُنجز مهام التنمية والتحرر من التبعية للسوق الإمبريالية، وتفاقمت المشكلات الاجتماعية التي عمّقت الفوارق الطبقية في المجتمعات العربية، وانتشرت البطالة وتراجع مستوى التعليم والثقافة .... الخ

بمعنى آخر تجلّت أزمة اليسار العربي الذي ورث الأهداف التي طرحها " رواد عصر النهضة " في عجزه عن إنجاز أيّ من هذه المهام.

لقد طرح رواد عصر النهضة العربية من خلال احتكاكهمبأوروبا، وتمثّل تجربتها ضرورة إجراء تحولات في الواقع العربي تقوم على تحقيق التصنيع كأساس لتأسيس النمط الرأسمالي الذي يعني تدمير البنى الاجتماعية المتخلفة (الإقطاع)، وهذا يعني بدوره تمثّل الفكر الذي تبلور مع نشوء الرأسمالية أعني فكر العقلانية القومية والديمقراطية والعلمانية، وعلى هذا الأساس أصبحت مهام التوحيد القومي والتحديث الفكري مهمات جوهرية، لهذا احتلت مسائل فصل الدين عن الدولة، وتأسيس الوعي القومي، وشكل النظام السياسي مسائل أساسية داعبت أحلام النهضويين العرب ، وبدأت ملامح هذه المسألة تظهر مع محمد علي باشا في بداية القرن التاسع عشر، لكن هذا المشروع هُزم نتيجة تحوّل الرأسمالية العالمية

إلى إمبريالية، وبذلك قُطع الطريق على الصيرورة الطبيعية لنمو بلداننا، مما ادخل مشروع التطور الرأسمالي في أزمة استمرت حتى أواسط القرن العشرين، حيث أصبحت الفئات الوسطى (الريفية بشكل خاص) أساس عملية التحويل التي طالت تدمير البنى القديمة (الإقطاع) وأسست لمحاولة بناء الصناعة كأساس للتحويل في إطار مشروع قومي يهدف إلى الوحدة العربية.

لكن تداخل مصالح الرأسمالية العالمية وتسابقها على نهب الدول المستَعمرة ومنها بلداننا العربية ذات البنى المتخلفة ، أوقع البرجوازية العربية في عجز منعها من إنجاز مهام التصنيع، التي استطاعت الرأسمالية في أوروبا إنجازها عبر تدمير البنى القديمة، والنتيجة كانت عدم تحقيق أحلام النهضة، وعجزت البرجوازية عن إنجاز التصنيع الذي أدّى إلى تحوّلها إلى قطّاع التجارة والخدمات والمال والمرافق الاستهلاكية وابتعادها عن الصناعة، وهذا ما انعكس على مستوى الوعي والممارسة السياسية في تكريس الأزمات العميقة، ممّا دفع بالفئات الوسطى والبرجوازية الصغيرة بعد تفاقم التناقضات إلى استخدام الجيش (المؤسسة المستقرة الوحيدة) كأداة انقلابية للوصول إلى السلطة في العديد من البلدان العربية، لكن هذا الخيار انقلب على أصحابه مع تطور التناقضات وانتشار الأوهام والوعي الزائف، وهذا ما دفع القوى الماركسية التي تبنّت فكرة المشروع النهضوي في الثلاثينات، وخاصة في المشرق إلى أن تتراجع عن مقولاتها حول

الوحدة القومية والاستقلال وآليات التطور، والتنمية التي تضرب علاقة التبعية مع السوق الإمبريالية.

وكان عام 1937 هو عام القطيعة مع هذه المهمات ، ومع تفاقم إشكاليات الواقع بدأت القوى الماركسية اليسارية تتبنى مقولات الماركسية السوفيتية التي نتجت عن "الكومنترن" ، ومنها الموقف من قرار التقسيم عام 1947 الذي ترك ردود أفعال سلبية كثيرة في الأوساط الشعبية والسياسية العربية والفلسطينية تجاه موافقة الحركة الشيوعية على قرار التقسيم.

وأذكر في هذا السياق الحوارات الساخنة التي كنا نخوضها مع الشيوعيين في أوساط الجامعة الأمريكية في بيروت التي كنت طالباً فيها في تلك الفترة . هذا الأمر خلّف شرخاً عميقاً في علاقات قوى اليسار وبشكل خاص بين الشيوعيين والقوميين، كان لها تداعيات سلبية كثيرة وكذلك كانت مقولة التطور اللارأسمالي ـ فيما بعد ـ التي راجت كثيراً في واقعنا في فترة من الفترات، موضع خلاف لأنها جعلت القوى اليسارية ملحقة بالسلطات البرجوازية الهجينة الحاكمة في العديد من البلدان العربية ، حيث بدأت الدول العربية المستقلة حديثاً عن الاستعمار في الخمسينات تتطور كل منها حسب ظروفها الخاصة، وطبيعة الأنظمة الحاكمة فيها، التي وجدت مصالحها تكمن في تكريس مشاريع سياسية واقتصادية تخدم الطبقة السياسية الحاكمة الحديثة أكثر من خدمتها لتحولات اقتصادية، واجتماعية جذرية على المستوى الوطني والقومي، وهذا الأمر ترجم نفسه بالإثراء السريع للطبقة السياسية التي استفادت من نفوذها في الحكم حيث انتشر

الفساد، والمحسوبيات التي وسمت تلك المرحلة في معظم البلدان العربية، وهذا ما نعنيه بتكريس واقع التجزئة من الناحية العملية، لأن التطور بات يجري وفق صيرورات قطرية ضيقة، بمعزل عن المصالح القومية العليا للأمة العربية، مما عمّق الشرخ والحدود الفاصلة بين البلدان والشعوب العربية، وصولاً إلى المرحلة المتردية التي تعيشها المنطقة العربية الآن، بعد احتلال العراق وتفاقم الأوضاع في فلسطين، والتهديدات العسكرية الأمريكية المباشرة للبلدان العربية التي أعادت المنطقة إلى مرحلة الاستعمار.

إن شمولية الموضوع وتعقيداته تحتاج بالتأكيد إلى دراسات تحليلية معمقة في الفكر السياسي اليساري العربي وتجاربه، للإجابة على هذه الأسئلة المتشعّبة، إذ من الصعوبة بمكان الإحاطة بهذا الموضوع الشائك حول دور اليسار العربي من خلال مقالة كهذه، مع ذلك سنحاول قدر الإمكان مقاربة الموضوع بتكثيف تصوّر شامل للمسألة بأبعادها الداخلية والخارجية.

إن مسألة وعي الواقع كإشكالية، تفرض علينا مناقشة الرؤية، أو الرؤى التي استند إليها اليسار العربي، وتفحّص مشكلاتها، ليس على المستوى النظري فحسب، وإنما على مستوى القضايا العملية التي طرحها الواقع ذاته، والمهمات والبرامج التي انبثقت عن هذه القضايا، كي تفضي إلى وسائل حلّها وتجاوزها، وأعني هنا مسائل القومية : الاستقلال، التجزئة، التحرر، الوحدة، التنمية وأفق التطور الاقتصادي، والاجتماعي العربي، والمهمات الأخرى التي يحددها الواقع العربي بتعييناته، على اعتبار أننا

مازلنا في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي وخاصة في فلسطين والعراق، حيث يفرض علينا واقع الاحتلال مهمات إضافية أساسية تتعلق بمواجهة الاحتلال ودحره.

مثل هذه المهام تتطلب أوسع مشاركة شعبية، من قِبل جميع القوى الاجتماعية والطبقية الفاعلة، التي عليها أن تنتظم في أطر جبهوية عريضة، هي الصيغة الأكثر فعالية لإنجاز مهام الثورة الوطنية الديموقراطية، التي يندرج ضمنها مواجهة الاحتلال، والتحرر من التبعية ومحاربة التجزئة، والوحدة، وإنجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكل هذا يجب أن يرتبط بفهم عميق لمسألة الديموقراطية التي تتجاوز مسألة الحريات السياسية فحسب، إلى مسألة تحصين البلدان العربية ضد التهديدات الخارجية المحتملة من خلال الإصلاح الداخلي الذي يستدعي أوسع صيغ التحالف الوطني العريض، والمشاركة الشعبية في القرار السياسي، والاقتصادي والاجتماعي الفاعل، الذي يعني ضمناً إعادة المجتمع إلى دائرة الفعل، بعد أن غُيّب طويلاً.

السؤال الذي يطرح نفسه دوماً في هذا السياق : لماذا أخفقت البرامج التي طرحها اليسار العربي في تحقيق التحولات المطلوبة على أرض الواقع ؟! ولماذا لم يصبح اليسار العربي قوة تغيير حقيقية؟! ولماذا بدأ هذا اليسار بالضعف بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية؟

أعتقد أن أهم المشكلات التي أدّت باليسار العربي إلى أزمته، وبالتالي إلى عدم إنتاج وعي مطابق لحركة الواقع العربي، هو اعتماده بالدرجة

الأولىعلى استعارة مقولات نظرية جاهزة، أنتجتها الأحزاب الماركسية العالمية، وإسقاطها على واقعنا، دون النظر في متطلبات هذا الواقع وإشكالياته .

وذلك على اعتبار أن هذه الأحزاب قد حققت في حينه بعض الانتصارات والتحوّلات في بلدانها، ثم تبيّن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية أن هناك ضرورة لإعادة النظر في كل التجربة الاشتراكية ودراستها، خاصة وأن أصوات كثيرة تعالت بعد ذلك معلنة "موت الماركسية".

لكن السؤال : أية ماركسية هي التي ماتت؟ هل هي ماركسية ماركس وانجلز ؟! أم الماركسية ـ اللينينية ؟! أم الماركسية الستالينية التي تعبّر عن الحقبة السوفيتية ؟!

وما هي العلاقة بين الأنظمة الشيوعية التي تداعت و بين فكر ماركس؟

إن السمات السلبية التي رافقت تجربة البلدان الاشتراكية، لم تنجُ منها أيضاً بعض الأحزاب الشيوعية واليسارية التي لم تصل إلى السلطة، بما في ذلك الأحزاب اليسارية العربية، وبالتالي بات من المشروع السؤال عن علاقة هذه السلبيات التي طبعت الأحزاب الشيوعية واليسارية عموماً بطابعها، وبين التراث النظري الماركسي باعتباره مرجعية تلك الأحزاب .

لقد سال الكثير من الحبر في نقاش تلك الأسئلة المحورية، وقد اختلف المفكرون الماركسيون واليساريون عموماً حول تقييم هذه المسألة، ومن جهتي، يهمني التأكيد في هذا السياق : إن انهيار الأنظمة الشيوعية التي

كانت نتاج النظام الستاليني الشمولي، لا يعني أن البديل هو الديموقراطية البرجوازية أو الليبرالية الجديدة كما يدعو البعض، بل إنَّ البديل الحقيقي هو الديموقراطية الاشتراكية التي تعني ضمناً ليس الديموقراطية السياسية فحسب، بل الديموقراطية بمفهومها الأوسع والأشمل، وبأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما كانت تفتقده تجارب بلدان المنظومة الاشتراكية .

إن الديموقراطية الغربية أو الليبرالية الجديدة، ستظل خادعة طالما أنها لم تتحْ حيزاً واسعاً للاعتراف بالمنتجين كفاعلين سياسيين على مستوى الرقابة والقرار، وبالتالي سوف تظل ديمقراطيتها ناقصة وشكلية.

إن تطور العولمة في صيغتها الأكثر وحشية "الأمركة " خلق نوعاً من الحراك الاجتماعي الجديد على مستوى العالم، وقد بدأت حركة العولمة البديلة التي تضم في داخلها على المستوى العالمي أطيافاً واسعة من القوى والأحزاب اليسارية، وحركة أنصار البيئة، وهيئات المجتمع المدني، تناضل بأشكال مختلفة من أجل بلورة صيغ فاعلة للمواجهة، لكن للأسف، لا تزال القوى الاجتماعية والحركات السياسية وهيئات المجتمع المدني في بلداننا العربية عاجزة أيضاً عن الانخراط في الحركة العالمية المناهضة للعولمة والأمركة، لأنها لا تزال جنينية وغير متبلورة بشكلٍ كافٍ لتقوم بالجهد المنوط بها في سياسة هذه الحركة العالمية.

اليسار والوحدة العربية:

شغلت قضية فلسطين والوحدة العربية حيّزاً هاماً من اهتمامات الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن) والحركة الشيوعية المحلية منذ أواخر عشرينات القرن الماضي، وإذا عدنا إلى الوثائق الصادرة عن كونفرنس مشترك جرى بين الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني عام 1931 ، وخاصة الوثيقة التي نُشرت بعنوان " مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية " سوف نذهل لمدى مقاربة التحليل الماركسي الثوري الذي تنطوي عليه هذه الوثائق لنبض الشارع العربي آنذاك، رغم بعض الأخطاء في تشخيص (طبيعة الحركة والطبقات الاجتماعية) " لقد اتخذت الأحزاب الشيوعية في فلسطين وسورية ومصر، سنة 1929 وبعدها بناءً على توجيهات الكومنترن وتحت قيادته، موقفاً واضحاً لا لبس فيه ولا تحايل، في النقطة الجوهرية : تأييد الحركة القومية الرامية إلى الاستقلال والوحدة القومية ـ المعادية للإمبريالية ـ ضد الحركة الصهيونية، الحليفة المتقدمة للقوى الإمبريالية وأداتها في المنطقة العربية.

لقد ميّز لينين تمييزاً صارماً بين القومية المظلومة والقومية الظالمة، وفرض على الأحزاب الشيوعية في أوروبا تأييد الأولى وشجب الثانية، وقد أكدّت أدبيات تلك المرحلة " أن الوحدة العربية وقضية فلسطين هما قضيتان من قضايا النضال العالمي المناهضة للإمبريالية، من قضايا الثورة الاشتراكية في العالم .

أنهما القضيتان النوعيتان للنضال المناهض للإمبريالية في الوطن العربي،

وقد درج الماركسيون على القول أنهما فرع من الكل، لأن هذا الموقف الواضح من قضيتي فلسطين والوحدة العربية، هو تجلٍّ للعلاقة بين الخاص والعام بين قضيتي الوحدة وفلسطين والنضال العنيد ضد الإمبريالية العالمية الذي تجسّد بشكل خاص في واقع الفترة التي تبنّت فيها الحركة الشيوعية العالمية والمحلية قضية الوحدة وفلسطين بشكلٍ لا لبس فيه، لأن تلك الفترة كانت فترة صدام كبير بين الاتحاد السوفيتي والأممية الشيوعية من جهة، وبين العالم الرأسمالي الإمبريالي في ظرف الأزمة الاقتصادية العالمية وبناء الاشتراكية السريع في الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى.

ولقد تغيّر هذا الموقف مع تطور الأحداث و تغيّر الظروف، إذ بدأت الأحزاب الشيوعية تغيّر مواقفها هذه كانعكاس لتغيير مواقف الكومنترن، من هذه القضايا، رغم أن الإمبرياليات العالمية قد عملت بشكل حثيث على تمزيق الجسد الحي للشعوب العربية، وأبقت الدول العربية في حالة من التجزؤ الإقطاعي، وحرمت هذه البلدان من مقومات التقدم والنمو الاقتصادي والسياسي المستقل، وكذلك عملت على تجميد ديناميات التوحيد القومي السياسي وخلق الحدود للبلاد العربية، وساعدت على زرع الكيان الصهيوني في فلسطين قلب الوطن العربي، وهكذا تحوّلت البلدان العربية حتى بعد استقلال بعضها إلى ملحقات دول المتروبول، دولاً مستقلة شكلياً إلا أنها تابعة للسوق الإمبريالية من الناحية الفعلية (زراعية ومنتجة للمواد الخام) ، وهذا ما أفضى إلى بطء تشكّل طبقات المجتمع الرأسمالي ونمو عناصر السيادة القومية التي راحت تنمو بشكل عشوائي وغير منتظم، وهذا

ما سهّل التحالف بين الإمبريالية التي كانت تعمل على تأمين مصالحها ونهب شعوبنا، وبين القوى الإقطاعية الرجعية العربية و الكومبرادورية التي سيطرت على السلطات في البلدان العربية، وجعلتها قواعد لسياسة الاغتصاب الإمبريالية
العدوانية.

هذا الوضع خلق نقيضه فيما بعد، مع عملية المد العربي التحرري، وبدأت الطبقة العاملة الناشئة حديثاً وأحزابها ونقاباتها بالإضافة إلى حركة الفلاحين والبرجوازية الصغيرة تلعب دوراً فاعلاً في هذه العملية التحررية وقادت الأحزاب اليسارية بجناحيها الشيوعي والقومي الماركسي، بالإضافة إلى قوى اليسار الأخرى هذه العملية، التي انضوى بعضها ضمن أحزاب الاشتراكية الدولية، ومن هنا صار علينا أن نميّز ما بين أجنحة قوى اليسار، وأدوارها حسب الأحداث والمراحل التاريخية التي مرت بها، وبين القوى اليسارية الأكثر راديكالية والتي تبنّت مواقف وسياسات أكثر استقلالية، لكن هذه القوى ظلت أيضاً عاجزة عن تحويل برامجها إلى إنجازات فعلية على أرض الواقع، وعاشت بالتالي أزمة من نوع جديد هي أزمة عدم القدرة على الفعل في الواقع.

وعلى المستوى الفلسطيني تعتبر حركة فتح بهذا المعنى ضمن اليسار الاشتراكي الدولي، وكذلك حزب العمل الإسرائيلي، ومن المعروف أن الاشتراكية الدولية وأحزابها لا تختلف في الغرب عن البرجوازيات الحاكمة إلا ببعض البرامج الاجتماعية الإصلاحية، وهي تضم طيفاً واسعاً من

القوى غير المتجانسة، ومن هنا لا يمكن أن ننظر لليسار الإسرائيلي إلا باعتباره يساراً صهيونياً معادياً لمصالحنا الوطنية والقومية، عمل على تنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين طوال العقود الماضية، كذلك نجد أنفسنا على خلاف مع الكثير من أطروحات يسار فتح أبو عمار الذي ينضوي أيضاً ضمن حركة الاشتراكية الدولية، ويجسّد عملياً مصالح الفئات البرجوازية الفلسطينية التي استفادت بعد أوسلو من السلطة وحوّلتها إلى أداة للفساد، و المحسوبيات والإثراء السريع وغير المشروع للفئات المستفيدة منها على حساب مصالح شعبنا الذي يواجه أعتى أشكال الاحتلال التي أفرزها عالمنا المعاصر، وهو الاحتلال الصهيوني الاستيطاني الذي يريد أن ينفي شعباً بأكمله ويحل مكانه على أرضه وثرواته وتاريخه ...

وإذا عدنا إلى نقطة البدء، نرى أن إشكاليات الواقع تقتضي على ضوء المنهجية الجدلية التاريخية إعادة النظر في الكثير من القضايا وتحليلها تحليلاً معمقاً للوصول إلى وعي مطابق لإشكاليات الواقع يفرز على المستوى النظري برامج للخروج من هذه الأزمة المستعصية، وعلى المستوى العملي التكتيك الملائم لإنجاز مهام تلك البرامج، وهذا يقتضي من اليسار العربي والفلسطيني مراجعة كاملة لكل المناهج والبرامج والمهمات المطروحة علينا، للخروج بفهم جديد يعيدنا إلى دائرة الفعل المؤثر في حركة الواقع، على مستوى الاستراتيجيا والتكتيك الصحيح الملائم لظروف المرحلة الراهنة.

المطلوب فتح أوسع حوار بين أجنحة اليسار العربي، لإعادة تحليل وتركيب كافة القضايا التي تواجه واقعنا العربي، من أجل نهوض حركة اليسار العربي مجدداً.

ومن جهة أخرى تقتضي الأزمة المستعصية في الواقع العربي عموماً فتح باب الحوار أيضاً بين مختلف التيارات والحركات الفاعلة على اختلاف مشاربها الفكرية والأيديولوجية : الماركسية والقومية والإسلامية المتنورة ، إذ رغم الاختلاف على المستوى الإيديولوجي مع التيار الإسلامي فنحن نميّز بين التيار الإسلامي المقاوم للمشروع الإمبريالي الصهيوني، وبين التيار الظلامي الاستئصالي التكفيري الذي يرفض الحوار ويعتبر نفسه البديل المطلق لكافة التيارات الأخرى الفاعلة في الواقع العربي.

" إنني على ثقة بأن أجيال شبابنا الصاعدة و المتتالية لن تحتاج إلى من يلقّنها ما يجب أن تفعله، فليس من حق أحد، فرداً أو حزباً، أن يصادر حقها في تحديد طموحاتها و أهدافها مسبقاً"

جورج حبش

الفصل الرابع

احتفالات و نشاطات في ذكرى الحكيم

بسبب الكم الكبير للنشاطات و الاحتفالات ، تم اختيار بعض الاحتفالات و الندوات و النشاطات التي تعبر بشكل عام عن ذلك.

بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الذكرى الثامنة لرحيل الدكتور جورج حبش

يا جماهير شعبنا الفلسطيني.. يا جماهير أمتنا العربية..

نقف اليوم في قلب الذكرى الثامنة لرحيل القائد والمفكر الثوري الوطني والقومي والأممي مؤسس حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدكتور جورج حبش، بإحترام وتقدير واعتزازٍ كبير.

فالحكيم الإنسان والمناضل والقائد الثوري، الذي قذفت به نكبة فلسطين وشعبها إلى رحم الجماهير الشعبية العربية، وظل ابناً وفياً لها، وضميراً لحركتها الثورية ببعديها الوطني والقومي على مدى ما يزيد من ستة عقود من النضال، قابضاً على همومها وأهدافها، في الانعتاق والتحرر والاستقلال والوحدة والتقدم والديمقراطية، بصلابة وعزيمة لا تعرف الكلل أو الوهن أو الضعف، عاش ورحل نموذجاً لقائد من طراز فريد، في رؤيته ومنطلقاته وممارسته وكفاحيته وصدقه ووضوحه وشفافيته، حيث كانت بنيته الفكرية والأخلاقية شديدة الإحكام والتماسك والقوة العصية على التفكيك.

وفي هذه المناسبة التي تختلط فيها مشاعر الحزن والألم، بمشاعر الفخر والأمل، نجد من الضرورة أن نقف أمام أبرز الدروس والعبر التي جسدتها التجربة النضالية الثورية الممتدة للحكيم، وأهمية تمثّلها في هذه اللحظة السياسية التي يعيشها شعبنا وقضيته الوطنية:

أولاً: إيمانه وثقته بحتمية الانتصار على المشروع الصهيوني وحلفائه، وبدور الجماهير الشعبية العربية الحاسم في تحقيق هذا الانتصار، انطلاقاً من التلازم الجدلي بين الوطني الفلسطيني والقومي العربي، بين تحرير فلسطين والوحدة العربية من جهة، وطبيعة المشروع الصهيوني الاستعماري التوسعي، الذي يستهدف عموم المنطقة والأمة العربية وليس فلسطين فقط من جهة أخرى.

ثانياً: تحصنه بالمبادئ وتمتعه بالوضوح السياسي وتسلحه بالمناعة الثورية، الذي جعله رغم كل الهزائم والانهيارات وتبدلات المواقع التي جرت، يقف على أرضية راسخة في معسكر الثورة وحلفائها، متمسكاً ومدافعاً صلباً عن قضية شعبه وأمته، بحيث لم يفقد البوصلة التي تشير إلى فلسطين يوماً ، أو تلك التي تحدد وبوضوح معسكري أصدقاء وأعداء الشعب الفلسطيني وثورته في وجه الظلم التاريخي الذي لحق به.

ثالثاً: ربطه الوثيق بين النضال الوطني التحرري ضد الاحتلال الصهيوني من أجل الحرية والعودة والاستقلال، جنباً إلى جنب مع النضال الاجتماعي

الديمقراطي من أجل مواجهة كل أشكال الفقر والحرمان والقهر والاستغلال والتمييز، انطلاقاً من قناعته بأن النضال الوطني التحرري الفلسطيني لن ينسجم أو يتناغم حقاً، طالما بقي التفاوت الطبقي - الاجتماعي قائماً في صفوف الشعب الفلسطيني، وطالما بقيت نصف طاقته الحقيقية الممثلة بالمرأة الفلسطينية معطلة وغير فاعلة.

رابعاً: قتاعته الراسخة بضرورة الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار التعددية الفكرية والتنظيمية القائمة في صفوف الشعب الفلسطيني، لذلك رأى أن التناقضات والاختلافات والتعارضات مهما كانت حدتها، موضوعية وصحية، وبأنها مصدر أساسي للارتقاء والتقدم والتطور، طالما بقيت مضبوطة لأولوية تناقضها الأساسي مع عدوها الرئيسي، ولقواعد الحوار والحوار فقط، لا السلاح والانشقاق.

خامساً: آمن بعمق بضرورة التجدد والتجديد وترسيخ الممارسة الديمقراطية قيماً وثقافةً وسلوكاً، ودوام ضخ الدماء الجديدة لصفوف الحزب والثورة، وضرورة رفدهما بالكفاءات والطاقات القادرة والمبدعة والخلاقة.

لذلك لم يكن الموقع القيادي بالنسبة له سوى مكان للتضحية والتفاني والعطاء والوفاء والترفع والزهد واستمرار حمل أمانة الشعب والقضية، حتى ولو لم يكن في الموقع الأول، الذي آثر التخلي عنه طوعاً ليعطي مثلاً

ونموذجاً غير مألوفاً في واقعنا العربي ومنه الفلسطيني. وكذلك آمن بأولوية العِلم والتنظيم والتخطيط في مواجهة الجهل والعفوية والارتجال.

رحل الحكيم في عام النكبة الستين، كما بدأ معها، ولا تزال فصولها مستمرة، لكن عزاؤنا، أن ما دشنه في مدرسته الثورية وتجربته النضالية من مبادئ ومنطلقات ورؤى وقيم وأخلاق لا تزال ماثلة في عقول وقلوب وسلوك كل من اهتدى إلى دربه وسلك طريقه الكفاحي وتمسك بأهدافه الوطنية والقومية والأممية.

فطوبى لك يا حكيم في ذكراك.. طوبى لمن زرعوا الثورة وسقوا جذرها دماً وعرقاً وكفاحاً مستمراً.. وبقوا عنواناً للمقاومة والحياة والانتصار القادم.

المجد والخلود للقائد الثوري الدكتور جورج حبش في ذكراه، ولكل شهداء شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية وأحرار العالم

العهد والوفاء أن نبقى نسير على دربك متسلحين بفكرك ومبادئك وقيمك وأخلاقك بثبات وعزيمة لا تلين

التحية كل التحية لنضال شعبنا وكفاحه الوطني المستمر، والنصر حتماً حليفنا.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

معن بشور في ذكرى استشهاد الحكيم:

جسّد مع رفاقه المؤسسين و الشهداء واحدة من أجمل حكايات فلسطين والأمة العربية

أحيت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في منطقة صور الذكرى الثامنة لاستشهاد الدكتور جورج حبش مؤسس حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وذلك في المركز الثقافي الفلسطيني بمخيم البص، وألقى نائب أمين عام المؤتمر القومي العربي الرفيق معن بشور كلمة قال فيها:

في حضرة حكيم الثورة وحارس ثوابتها، من حقنا، بل من واجبنا أن نستحضر جملة قوانين أدركها، ومفاهيم أطلقها، ومبادئ أمضى جورج حبش عمره من أجلها، فإذا كان موت الأشخاص حق لا يمكن لأحد أن ينكره، فإن موت الأفكار يبقى مستحيلاً إذا حملتها قامات كقامة الحكيم ونفخت فيها من روحه وروح رفاقه الحياة.

وإذا كان أعداء أمّتنا يراهنون على موت هذه الرؤى والتطلعات مع رحيل أصحابها، فإن نقطة البداية في أي ردّ على هؤلاء الأعداء يكون باستحضار هذه الرؤى والتطلعات وإحيائها وتحويلها إلى حقائق يستحيل اقتلاعها... وبالتالي فالإحياء الحقيقي لذكرى الكبار لا يتحقق إلاّ بالإحياء المستمر

لجملة الأفكار والمفاهيم والمبادئ التي استشهدوا في سبيلها، أو أفنوا العمر من أجلها وهو استشهاد مديد أيضاً.

بين هذه القوانين والمفاهيم والمبادئ والرؤى التي عاشها جورج حبش ورفاقه وأبناء جيله، وأسس معهم واحدة من أهم الحركات القومية العربية المعاصرة (حركة القوميين العرب)، ثم واحدة من أهم تنظيمات الثورة الفلسطينية المتجدّدة (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، يمكننا في هذه العجالة استحضار عشرة منها وذلك كفعل وفاء للراحل الكبير ورفاقه أولاً كفعل نهوض بأمّتنا وحركتها الثورية من العثرات التي وقعت بها.

أول هذه القوانين – المفاهيم، هو تلازم العلاقة بين تحرير فلسطين والوحدة العربية، وهو التلازم الذي انقضّت عليه قوى عديدة بالترغيب أو الترهيب من أجل الإجهاز عليه، موحية تارة للعربي أنه بابتعاده عن فلسطين قادر على حلّ كل مشاكله، وموحية تارة أخرى للفلسطيني أنه بانكفائه عن عمقه القومي العربي يصبح أقرب إلى فلسطين، فبتنا اليوم أبعد عن أي وقت مضى عن الوحدة العربية نفسها، كما عن فلسطين، بل باتت في غياب الرابطة القومية وحداتنا الوطنية في كل قطر مهدّدة، وأمننا الوطني والقومي مستباحاً، واقتصادنا متعثراً، وتنميتنا متراجعة، واستقلالنا مهزوزاً، وسيادتنا مصابة في الصميم، بل باتت فلسطين فلسطينيات مزروعة بالمستعمرات، مطوقة بأبشع أشكال الإرهاب العنصري في التاريخ.

وثاني هذه القوانين – المفاهيم هو تلازم العلاقة بين هويتنا القومية العربية الجامعة لأديان ومذاهب وأعراق، وبين الإسلام كعقيدة لأغلب أبناء الأمّة، و كثقافة وحضارة وعمق جيوسياسي لكل أبناء الأمّة، فكان جورج حبش المسيحي ديانة مسلماً ثقافةً وحضارة ومدركاً أن في كل عربي، ولو كان غير مسلم، الكثير من الإسلام، وفي كل مسلم ولو كان غير عربي الكثير من العربية لساناً ولغة وثقافة وقرباً من القرآن الكريم. بل كان جورج حبش القومي العربي مدركاً للطبيعة الانسانية للقومية العربية التي ترفض كل اشكال التمييز العنصري والعرقي والاثني، مدركاً أن العروبة هوية ثقافية، وأن الحريص على قوميته العربية يجب أن يكون حريصاً على الحقوق القومية للشعوب المتساكنة مع العرب في وطنهم الكبير.

أما ثالث هذه القوانين - المفاهيم فهو التلازم بين حركة التحرر الفلسطينية العربية وحركة التحرر العالمية، فلم تكن وطنية جورج حبش الفلسطينية، ولا عروبته القومية، حاجزاً بوجه إدراكه لأهمية إعطاء قضية الأمة بعدها الأممي، وإدراكه إن طبيعة المشروع الاستعماري الصهيوني هي طبيعة عالمية، واليوم "معولمة"، لا يمكن التغلب عليها إلا بجبهة عالمية ضد الاستعمار والعنصرية وكل أشكال الاستغلال.

رابع هذه القوانين - المفاهيم هو التلازم بين القضية الوطنية والقومية وبين القضية الاجتماعية، بين كرامة الانسان وخبزه ولقمة عيشه، فيتم تعميق المضمون الاجتماعي للنضال الوطني والقومي، ويتم رفد هذا النضال بقوى

وشرائح اجتماعية واسعة قادرة على تغيير موازين القوى المحلية والإقليمية والدولية.

فهل يمكن اليوم مثلاً أن نفصل بين الانتفاضة الوطنية الباسلة في الداخل الفلسطيني من أجل الحرية وبين الهبة الشعبية لفلسطينيي الشتات بوجه إجراءات الأونروا والتي أقل ما يقال عنها إنها جائرة وأكثر من أن يقال أنها خطيرة ومشوهة.

خامس هذه القوانين - المفاهيم هي أن الثورة ليست شعاراً نرفعه، أو هتافاً نطلقه، بل هي حلم وعلم في آن معاً، يتغذى العلم بحيوية الحلم، ويشق الحلم طريقه بقوة العلم.

ولأنها حلم وعلم معاً، كانت الثورة حياة كاملة عاشها جورج حبش مدركاً انه لا نكون ثواراً في الصباح ومساومين على حقوق شعبنا في المساء، لا ندعو للثورة في المنابر ونفرط بمبادئها في الممارسة الواقعية...

لذلك لم يساوم جورج حبش و رفاقه يوماً على مبدأ من مبادئ الثورة، بل عاشوا حياتهم، بكل شظفها و قسوتها و زهدها، ليكونوا قدوة لشعبهم، رغم معرفتهم أن ما هو مطلوب من القائد الثوري ليس مطلوباً من كل مواطن، ولكن من واجب كل مواطن أن يرى في قائده الثوري مثالاً ونموذجاً يهتدي به في حياته.

سادس هذه القوانين - المفاهيم هي التلازم بين الثورة والوحدة، فكل ثورة تخرج عن الوحدة الوطنية مآلها التعثر، و أحيانا السقوط بيد الأعداء، وأي

دعوة للوحدة، وطنية كانت أم قومية، لا تنطوي على مشروع ثوري للتغيير سرعان ما تتجمد وتتآكل وتنزلق في مهاوي التفتت.

ومثلما كان جورج حبش، و رفاقه مؤمنين بالثورة كانوا متمسكين بالوحدة، بل لم يكن لثورتهم سقف إلا الوحدة مدركين أن أسرع الطرق لانهيار الثورات هو الانزلاق في مهاوي التقسيم والانقسام، لذلك كان جورج حبش يفاجأ الكثيرين حين يلوذ بالوحدة الفلسطينية فيما يظن كثيرون إنه مع اعتراضاته الشديدة ومعارضته الحادة قد أدار ظهره لها .

سابع هذه القوانين- المفاهيم هي أن فلسطين لا تحررها الحكومات العربية ولا المفاوضات بل الكفاح الشعبي المسلح، فالحكومات العربية إما عاجزة أو متواطئة، والمفاوضات في ظل هذا الخلل الفادح في موازين القوى هي ترسيخ للاحتلال والاستيطان، و امتصاص تدريجي لطاقات الشعوب وقدراتها الثورية.

لقد راهن جورج حبش ورفاقه في أصعب الظروف على شعبهم وأمتهم، ولم يُكذب شعبهم الفلسطيني رهانهم، فهو في حال انتفاضة متجددة تطور في كل مرحلة أساليب نضالها ووسائل مقاومتها، وتحوّل نقاط قوة العدو إلى نقاط ضعف ونقاط ضعف الشعب الفلسطيني إلى قوة، وهذه قمة الإبداع.

ثامن هذه القوانين- المفاهيم هي أن استقلالية الحركات الثورية تساوي وجودها، وأن من يخسر استقلاليته يوماً يخسر دوره وفعاليته دوماً،

فالإمكانات المادية ضرورة لخدمة النضال، ولكنها تصبح ضرراً إذا تحوّل النضال إلى خدمتها.

كان الحكيم ورفاقه يدركون صعوبة هذه المعادلة، فيتحملون الكثير الكثير من أجل الحفاظ عليها، وأحياناً على حساب دورهم وفعاليتهم، لكنهم كانوا يدركون أن الارتهان لأي نظام، مهما بلغت درجة التقارب معه، قيد كبير على الحركة الثورية وعبء عليها، وأحياناً يصبح عبئاً على النظام نفسه.

طبعاً كان الحكيم من مدرسة تدرك الفارق بين شعار "القرار الوطني المستقل" الذي ينطوي على إغفال العمق القومي لقضية فلسطين، وبين شعار " استقلالية الثورة" عن الارتهان للواقع الرسمي العربي، فالأول ينطوي على مخاطر كثيرة، فيما الآخر يحمل ايجابيات كبرى.

تاسع هذه القوانين - المفاهيم أن الديمقراطية ممارسة قبل أن تكون صيغ عمل و أشكالاً قانونية ودستورية، وإن على المؤمن فعلاً بالديمقراطية أن يمارسها في سلوكه وعلاقاته وفي المؤسسة التي ينتمي إليها، بل أن تكون دائما مقترنة بأرقى أشكال التواضع وهو "أن تعتبر رأيك صوابا يحتمل الخطأ و رأي الآخر خطأ يحتمل الصواب"

لذلك حرص جورج حبش على الدعوة إلى المراجعة المستمرة للتجارب، وعلى كل المستويات، مثلما حرص على تداول المسؤولية فتخلى عن الأمانة العامة للجبهة الشعبية لكي يخلفه قائد شهيد على يد الاحتلال هو أبو علي مصطفى، وقائد أسير في سجون الاحتلال منذ 10 سنوات هو

المناضل أحمد سعدات سيقدم بهذه المبادرة نموذجا في حياتنا الحزبية والسياسية التي يأبى كثيرون من أقطابها التجديد والتحديث والمراجعة.

عاشر هذه القوانين - المفاهيم وأهمها هو إيمان جورج حبش ورفاقه بالجماهير وإدراكه أن في جماهير شعبنا وأمتنا من القوة ما يمكن أن يحقق المعجزات، لا سيما إذا توفرت لها القيادة والرؤية والآليات والبرامج السليمة، دون أن يقلل أبداً من المصاعب الضخمة التي تعترض العمل الحقيقي بين الجماهير التي تبقى هي الضمانة وهر المرجع الأول والأخير. من دون أن يقلل من مخاطر الانقضاض على العفوية الجماهيرية وإساءة استغلالها وتجويفها وحرفها عن المسار الصحيح.

أيها الأخوات والأخوة:

لم يكن الراحل الكبير الدكتور جورج حبش مجرد قائد ثوري، أو مناضل وطني وقومي وأممي بارز فحسب، بل كان أيضاً مدرسة في الحياة الثورية اقترن فيها الفكر بالممارسة، والثقافة بالالتزام، والمبادئ بالأخلاق، فاستحق لقب " ضمير الثورة وحكيمها وحارس ثوابتها معا"، بل جسّد مع رفاقه المؤسسين والشهداء واحدة من أجمل حكايات فلسطين والأمة العربية.

خلال ندوة في ذكرى رحيل الحكيم،

الشعبية تدعو للوحدة في ظل الإنتفاضة

رام الله- كامل جبيل - الجبهة الشعبية

الصباغ: إذا لم ندمج بين كافة أشكال النضال فلا يمكن أن نصل الى الحالة الثورية المطلوبة، فالحالة الثورية ليست فقط ظروفاً موضوعية.
زكي: انتهت اتفاقية سايكس بيكو و بدأ العالم يبحث في خارطة جديدة، فالمنطقة مشاع وستكون اتفاقية ملزمة لمئة عام في المنطقة والتصريحات جميعها اتفقنا على كل شيء باستثناء الجغرافيا.
شحادة: الانتفاضة كلمة عنوانها الشعب الفلسطيني وبفضل العولمة أطاحت هذه الانتفاضة بما ألصق بنضال الشعب الفلسطيني ،ما سمي بالإرهاب، عندما نقول انتفاضة فاننا نقصد شكلاً و طوراً من أطوار مقاومة الشعب الفلسطيني الممتدة لأكثر من قرن من الزمان.
بدعوة من مركز الهدف الإعلامي، وبمناسبة الذكرى الثامنة لرحيل القائد

المؤسس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة القومين العرب د. جورج حبش نظم في مقر الغرفة التجارية في رام الله الندوة الحوارية الوطنية تحت عنوان "جدل وافق الانتفاضة والوحدة.

أدار الندوة راسم عبيدات الكاتب والمحلل السياسي ، وتحدث فيها كل من د.أليف صباغ ، الكاتب والمختص في الشأن الإسرائيلي، و عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وعمر شحادة مدير مركز الهدف...إضافة الى مداخلات تحدث فيها العديد من المهتمين والمثقفين وسياسيين.

ومن جانبه قال عمر شحادة العضو القيادي في الجبهة الشعبية ومدير مركز الهدف بضرورة وجود موقف وطني جامع ودعوة وطنية عامة للنهوض بالنضال الوطني وعدم الالتفات الى الخلف وطي صفحة الماضي للتقدم معا يداً بيد وكتفاً بكتف لمواجهة الاحتلال ومخططات تصفية القضية الفلسطينية.

وقال، إن افضل تكريم للدكتور حبش مؤسس الجبهة الشعبية أن يكون التكريم تكريماً للعقل، وما الندوات إلا دعوة لإعمال العقل الوطني الجمعي الفلسطيني بما يشكل هادياً لنضال شعبنا وقطاعاته نحو هدفه في العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس،

و قال د. أليف صباغ بمناسبة ذكرى رحيل حبش الذي عرفته في – صوفيا- وجمعني به لقاءان، وكان حبش يوصي دائما على أبناء فلسطين الداخل بقوله : ديروا بالكم على أولادنا في ال 1948 مما كان له الأثر

الكبير في نفسي، معتبراً تلك من أعظم الكلمات التي جذبته وقربته الى حبش، قائلا، تلك الكلمة لم تكن صدفة وإنما كانت في صلب اهتمامه بوحدة الشعب الفلسطيني بغض النظر عن اختلاف المكان او الرؤيا، تلك الوحدة التي بتنا نعاني منها اليوم، إضافة انها تشكل عقبة أساسية أمام تطور نضالنا الفلسطيني نحو تحقيق الأهداف المرجوة.

واستذكر الصباغ، مقولات للدكتور حبش في العام 1983 في المجلس الوطني في الجزائر وبعد الخروج من بيروت حيث قال ، مستشهداً بذلك لمن يتحججون بالوضع الدولي والعربي الحالي قائلا، الوضع العربي والدولي والفلسطيني "مأساوي" ولكن حبش قال كلاماً واضحاً وصريحاً – يقولون أبواب القتال ضد الاحتلال أصبحت مغلقة أمامكم – وكان هو قول رائج شبيه بالقول الرائج اليوم نحن عاجزون عن مقاومة الاحتلال، والتنسيق الأمني قائم ما بقي الاحتلال، كما قال حبش –وهل الأبواب مغلقة أكثر مما كانت عليه العام 1965- حيث كان في ذلك العام أيضا الوضع العربي رغم وجود عبد الناصر فجاءت انطلاقة الثورة الفلسطينية وجاء استقلال القرار الفلسطيني وانتزاعه من أيدي الانظمة العربية حتى من جمال عبد الناصر وكان القرار الفلسطيني مستقلاً، وقرار الانطلاق كان فلسطينيا مستقلا في وضع دولي وعربي غير جاهز.

و أضاف الصباغ في حديثه عن حبش مقتبسا أيضا من كلامه- إن حبش أشار إلى ضروة الاعتماد على الذات أولا وليس على العوامل الخارجية

وخطابه حمل في نهايته قناعتي التامة أن فلسطين لن تتحرر إلا من خلال ثورة فلسطينية ملتحمة مع حركة تحرر قومي عربي.

وأضاف: دعا حبش جموع الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده في فلسطين وحتى في أمريكا اللاتينية مروراً بالدول العربية بالعمل التعبوي الإعلامي السياسي الذي ينادي بحق الشعب الفلسطيني في وطنه .

و دعا الصباغ، إلى تبني موقف حبش الآنف الذكر عام 1983 اليوم، قائلا، نحن أكثر الناس حاجة الى تبني ذلك الموقف في الظروف الحالية.

من جهته قال عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، الراحل حبش موجود في عقلنا وتجربتنا وهو من الكبار الذين لا يموتون حتى حضورهم في الغياب أكثر تالقاً من الحاضرين أيا كانوا، لانه رجل مباديء منذ أن تلمس الحياة وجد أن هناك من يمنع هذه الحياة وهو العدو، و انكفأ عربيا ثم انكفا فلسطينيا ثم انكفا أممياً، و جرب بكل الوسائل أن يحافظ على الذات الفلسطينية التي يجب أن تكون في مستوى التحدي بحجم المعاناة.

وأضاف، أن الظرف الراهن من الوضع العربي والإقليمي والدولي والفلسطيني، نحن يوجد لدينا الآن اتفاقية سايكس بيكو العام 1916 وتلك الإتفاقية التي رعتها أوروبا حتى الحرب العالمية الثانية و من ثم جاءت الولايات المتحدة و رعتها وكانت حريصة عليها وأيضا العرب أصبحوا حريصين على حدود سايكس بيكو، والآن مضى مئة عام نحن 2016 وانتهت اتفاقية سكايس بيكو وبدا العالم الآن يبحث في خارطة جديدة.

وانهى زكي حديثه بالقول، انه لا يمكن الحديث عن وحدة وطنية فلا وحدة وطنية في ظل مساومات و ضبابية الرؤى فالوحدة الحقيقية مساهمة الجميع في إطار مواجهة إسرائيل كعدو أساسي رئيسي دون اختلاف هنا وهناك، علينا أخذ الإشارات من الشبان الصغار جنازاتهم أكبر من أي موكب لأي زعيم ومن هنا نقول إن الناس تتجمع حول الأكثر جدية وطهراً وصدقا عند الناس مثل جورج حبش و الشهداء، و قد آن الأوان للمناقشة والوقوف أمام الأسئلة الحائرة نتيجة غياب الرؤية والجسارة والشجاعة، وآن الأوان لترجمة قرارات المجلس المركزي بعد أن قطعنا شوطاً فتلك القرارات جاهزة وعلى أسرائيل أن تفهم أنه إذا كانت بهذا الشكل يمكن لها أن تخسّرنا شعبنا وهويتنا فهذا مستحيل، إسرائيل يجب أن تعرف بأن جميعنا مع الذين يطلقون الحجارة ونحيي أولئك الشهداء الذين يعيدونا إلى الشهادة، تحية إلى جورج حبش.

الشعبية في الوسطى

مسيرة جماهيرية بمناسبة ذكرى رحيل الحكيم

نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المحافظة الوسطى"مخيم النصيرات-منظمة الشهيد محمد أبو النصر"مسيرة جماهيرية للمطالبة بجملة من المطالب الشعبية وحلول حقيقية للأزمات التي يعاني منها المواطن الفلسطيني في شقي الوطن وذلك على شرف الذكرى الثامنة لرحيل الحكيم د. جورج حبش.

وشارك في المسيرة عدد من المزارعين والصيادين وأعضاء من اللجنة الشعبية لشؤون اللاجئين وبعض قادة العمل الوطني في المنطقة و مجموعة من أشبال الكشافة وعشرات من المواطنين والملثمين المتوشحين بالكوفية الحمراء حاملين شعار "لتكن ذكرى الحكيم انطلاقة نحو التغيير "،

بالإضافة لمشاركة واسعة من الرفاق وأعضاء المنظمات الحزبية للجبهة الشعبية في المخيم.

انطلقت المسيرة من دوار مخيم النصيرات وصولاً إلى شارع صلاح الدين، ردد خلالها المواطنين شعارات ضد الانقسام وضد فرض الضرائب، وضد الاعتقالات السياسية، وسياسة تكميم الأفواه التي تنتهجها حكومتي الضفة وغزة بحق المواطنين.

وفي كلمة للجبهة الشعبية طالب عضو قيادة المنطقة الرفيق ماهر النملة طرفي الانقسام بضرورة الالتفات إلى المشروع الوطني وإنهاء معاناة الشعب بإنجاز ملف المصالحة في أسرع وقت.

وأكد النملة دعم الجبهة وتمسكها بخيار المقاومة و رفضها التام للتساوق والتنسيق الأمني المخزي مع الاحتلال الصهيوني، لافتاً إلى أن الجبهة ستستمر على نهج الحكيم جورج حبش متمسكة بالمقاومة بكافة أشكالها،داعياً إلى هبة جماهيرية من أجل إحداث تغيير للواقع بما يخدم القضية الوطنية الفلسطينية ومشروع المقاومة .

افتتاح ميدان الحكيم في طولكرم

أعلنت اللجنة الوطنية لإحياء الذكرى الثامنة لرحيل الدكتور جورج حبش افتتاح ميدان الدكتور جورج حبش حكيم الثورة، وذلك على الميدان الواقع على تقاطع شارع قاقون مع شارع العودة أحد مداخل طولكرم الغربية الرئيسية.

وقد تم هذا الإعلان بمشاركة فصائل العمل الوطني والمؤسسات النسوية وشخصيات شعبية ورسمية وأعضاء مجلس البلدية ،حيث تحدث محمد جوابرة باسم اللجنة الوطنية مطالباً بلدية طولكرم بالإلتزام بقراراتها السابقة بتشييد صرح يليق بحكيم الثورة وستقوم اللجنة الوطنية بمتابعة بناء صرح خلال العام القادم.

كما تحدث جوابرة عن مأثر الحكيم وما فعله في وجدان الشعب الفلسطيني وتجربته الكفاحية الطويلة التي أكدت بأن طريق الحرية لن يكون إلا بمقاومة المحتل والتمسك بالثوابت الوطنية والوحدة الوطنية المبنية على

برنامج واضح وانحيازه للفكر الانساني التقدمي المنحاز للفقراء وكافة الوطنيين والأحرار من ابناء الشعب.

وأكد في نهاية حديثه على الوفاء لحكيم الثورة والشهداء من أبناء شعبنا.

وتحدث باسم فصائل العمل الوطني سهيل السلمان عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الفلسطيني فقال " في هذه المناسبة و بكل المناسبات نستذكر شهداءنا فنحن اليوم أمام قائد وطني كبير ،أمام قائد ثوري وطني ، أمام قائد قومي عربي كبير، نحن أمام الحكيم، فهل نتحدث عن الحكيم الثائر المفكر الثوري الوطني القومي الأممي الإنسان، الحكيم كل ذلك معاً وفاء للأخلاق الثورية النبيلة التي ميزت الحكيم طوال مسيرته النضالية في حركة القوميين العرب وفي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كمؤسس لهما وأضاف "تأكيداً على الشعار الذي أطلقه الحكيم وآمن به كل الثوريين وشكل بوصلة لهم بأن القوة هي الطريق الوحيد لاسترداد الحقوق ، نقف اليوم عرفاناً ووفاء أمام تضحيات الحكيم وأقواله المأثورة، و التي تصدح و صدحت بها حناجر الثوريين لا عذر لمن أدرك الفكرة و تخلى عنها، ومن أقوال الحكيم المأثورة و التي تعكس قوة الإرادة حينما قال (تستطيع طائرات العدو أن تقصف مدننا ومخيماتنا وتقتل الاطفال والشيوخ والنساء ولكن لا تستطيع قتل إرادة القتال فينا)

وأكد أن الحكيم ناضل وأفنى سنين عمره من أجل مستقبل أفضل للأمة العربية وآمن بالهوية العربية وحتمية الانتصار على المشروع الصهيوني على الأرض العربية.

الشعبية في مخيم جباليا تنظم أمسية ثقافية وفنية

بحضور واسع من قيادتها و رفاقها و أصدقائها ، نظمت منظمة الشهيد رشاد مسمار في مخيم جباليا أمسية ثقافية وفنية على شرف الذكرى الثامنة لاستشهاد القائد المؤسس للجبهة الشعبية الرفيق جورج حبش " الحكيم".

وافتتح عريف الحفل الرفيق محمد التتري فقرات الأمسية مرحبا بالحضور، مستذكراً بعضاً من مقولات ومآثر الحكيم تلاه نشيد السلام الوطني .

وتخلل الأمسية كلمة للجبهة الشعبية وعرض فيلم قصير عن حياة الحكيم و فقرات فنية من الدبكة الشعبية قدمتها فرقة العصرية، أما الشعر و الزجل فقدمه الرفيق سليمان " أبو عرب " ومسابقة ثقافية قدمّها الرفيق عمر تايه مسئول اللجنة الثقافية شمال غزة، وسط تفاعل من الحضور بشكل مميز مع الأمسية على وقع الأغاني الوطنية والزجل الشعبي و خلال المسابقات الثقافية و التنافس بين الفرق المشاركة .

و في كلمة الجبهة الشعبية التي ألقاها الرفيق ياسين لوز مسؤول المنظمة ، استذكر البيان الأول للجبهة الشعبية الذي أعلنت فيه استشهاد الحكيم، و ما جاء عليه البيان من سيرة الحكيم و مآثره ، حيث عاش ومات مناضلاً من أجل فلسطين و الوحدة العربية، واصفة إياه بالثوري الذي مثَّل بالممارسة فكراً وطنياً وقومياً و أممياً ثائراً، وسطر على صفحات تاريخ فلسطين والأمة العربية مجداً ثورياً عبر مسيرة ونضال وتضحيات أبناء شعبه وأمته و رفاقه في الجبهة الشعبية .

و أضاف: "جورج حبش الذي مثَّل مدرسة فكرية وثورية ، ورسم تاريخاً مشرقاً مع قادة تعملقوا نجوماً في سماء الوطن، عشقوا فلسطين الوطن والانتماء، بمثل عشقهم لأمتهم و وحدتها في مجتمع عربي ديمقراطي تقدمي، ترفعوا عن ثقافة التعصب و الحقد، و زرعوا أشجار التحرر الوطني والقومي لتنبت في صحاري قاحلة قوافل الشهداء ثمناً غالياً للانتصار الحتمي القادم".

و قال: " ها هي الجبهة التي أسسها و بناها الحكيم، تسير على نفس مبادئه تتحدى هذا الواقع العربي المهزوم و المأزوم و تشتق الطريق صوب المستقبل، رافعة شعار الحكيم القائد "لا يمكن أن يكون هناك ثورة دون نظرية ثورية، تركز على الفكر السياسي والرؤية الواضحة للعدو ولقوى الثورة وللواقع الاجتماعي بكل تفاصيله، انطلاقاً من الوعي والالتزام بضرورة الربط المتبادل بين النضال الوطني الفلسطيني والنضال القومي العربي، كوحدة وعلاقة جدلية واحدة " .

وتابع قائلاً: " وقد تواصلت الجبهة الشعبية مع هذه الرؤية الموضوعية التي صاغها حكيمها، وهي اليوم – رغم كل ما يتبدى من أزمات أو تراجعات مؤقتة-، فإنها ستظل رافداً نوعياً متميزاً في مسيرة التحرر القومي الديمقراطي العربي وفي مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني، بل لا نبالغ في القول إنها تمثل حتى اليوم أحد مكونات الذهنية الشعبية والوعي السياسي والاجتماعي للجماهير الشعبية الفقيرة، في وطننا العربي عموماً وفي فلسطين خصوصاً، وهو ما نعتبره في الجبهة وفاءاً من جماهير شعبنا وأمتنا لكل شهدائنا ومناضلينا عموماً و للحكيم القائد المؤسس بشكل خاص، بما تركه لنا من إرث ثوري وطني وقومي".

وقال: " إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إذ تحيي ذكرى استشهاد ملهمها ومؤسسها المفكر القائد المناضل جورج حبش، فهي تعلن لكل جماهير شعبنا وأمتنا بأنها ستظل وفية مخلصة لمبادئه وأفكاره الثورية التي اكتسبت لدى الحكيم مضامين أبعد من معانيها ومظاهرها المتعارف عليها، لأنها مبادئ وأفكار ارتبطت بالأيدلوجية الثورية ومنهجها العلمي الجدلي بمثل ارتباطها بصيرورة حركة التحرر القومي الديمقراطي والتقدم الاجتماعي و الاشتراكية ، وهو ترابط جسّد التزام الحكيم الدائم بالجماهير الشعبية الفقيرة في فلسطين و كل أرجاء الوطن العربية باعتبارها صاحبة المصلحة الوحيدة في هذا الصراع ضد التحالف الإمبريالي الأمريكي الصهيوني وفي الدفاع الحقيقي عن أهداف التحرر الوطني والديمقراطي".

كما عاهد الرفيق لوز الشهيد القائد بقوله: أيها الحكيم نعاهدك بأن نسير على هدى مبادئك وخطاك رافعين شعارك الخالد " لا عذر لمن أدرك الفكرة وتخلى عنها".

الشعبية في غزة

تحيي ذكرى رحيل المؤسس الدكتور جورج حبش

نظمت الجبهة الشعبية في قطاع غزة حفلاً حاشداً تخلله العرض الأول لفيلم "الحكيم، حكاية وطن "، بحضور عدد كبير من قادة وممثلي الفصائل الوطنية والإسلامية وعدد من الوجهاء والمخاتير والشخصيات الاعتبارية وممثلو مؤسسات المجتمع المدني بالإضافة لحضور واسع من الرفيقات والرفاق يتقدمهم عدد من أعضاء المكتب السياسي.

بدورها، رحبت عريفة الحفل الرفيقة أحلام عيد بالحضور داعية إياهم للوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء و من ثم عُزف السلام الوطني الفلسطيني .

كما رثت حكيم الثورة قائلةً "ثمانية أعوام مضت ومازلنا نراك هناك شامخاً أعلى جبال الكرمل وفي كل بيت تخرج منه رائحة الخبز والزعتر مازلنا نراك في اللد والرملة، في شوارع القدس وفي كل مخيم ،كيف لنا أن ننقض المنطق و نصدق بأنك ميت و أنت من بفكرك و نهجك دفعت العشرات للنضال من أجل الوطن و الموت في سبيله"

ومن جانبها ألقت عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية الرفيقة د.مريم أبودقة كلمة الجبهة الشعبية موجهة التحية لروح الحكيم الطاهرة و لروح قمر الشهداء الرفيق أبو علي مصطفى و لكافة الشهداء الذين قضوا على درب الحرية والاستقلال كما توجهت بالتحية للأمين العام القائد أحمد سعدات ولكافة الأسرى داخل السجون الصهيونية.

وقالت أبو دقة "نحيي اليوم معكم الذكرى الثامنة لرحيل قامة فلسطينية كشيء من الوفاء لمن أعطى حياته كاملة من أجل مشروعنا الوطني ومن أجل الشعب الفلسطيني ومستقبله ، بل من أجل المستقبل العربي من أجل الحرية والاستقلال و من أجل العدالة والمساواة ، من أجل الفقراء والمظلومين من أبناء شعبنا ".

وأضافت" لقد كان الحكيم وطناً لمن اقتلع من وطنه و كان عائلة لمن شرده الاحتلال والظلم عن عائلته، و كان أباً لمن فقد والده،و كان إنساناً في ظروف لا إنسانية يمارسها الاحتلال و أعوانه، كان فكراً مشعا في ظل أفكار سوداء أحاطت مجتمعاتنا، كان قائداً وطنياً بوسع الوطن في وقت تقلصت فيه القامات ، كان رمزاً و كان كاريزما، مرموقاً و جاذباً لكل

الأحرار في العالم، كان التواضع نفسه وكان القدوة ، سلوكه يسبق أقواله و كان ديمقراطياً بامتياز و أممياً بامتياز، لم يغره كرسي ولا مكانة، و اعتبر موقعه كأمين عام للجبهة الشعبية و لحركة القوميين العرب تكليفاً من رفاقه و ليس تشريفاً".

كما أشارت أبو دقة إلى أن الذكرى الثامنة لرحيل الحكيم قد جاءت في خضم انتفاضة شعبنا العارمة التي يقودها في وجه العدو الصهيوني المجرم، مشددةً على ضرورة حمايتها وتطويرها وتشكيل قيادة وطنية موحدة تقودها.

وفي سياق كلمتها طالبت بضرورة إنهاء الانقسام و وقف التنسيق الأمني لتوحيد الجهود في مواجهة الاحتلال حتى نيل الحرية والاستقلال وتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

وفي ختام كلمتها قالت "طوبى لك يا من كنت عمق التاريخ و شكل الحضارة ، نموذج العطاء وقيمة الفداء، يا مدرسة الثوريين، الذين لا يموتون أبداً، يا إنسانية بهيكل رجل، وتاريخاً متألقاً بالانتصارات، ويا حكمة في زمن الإفلاس، وعبقرية نادرة في زمن الضحالة و جذوة الإقدام في زمن التراجع ، أنت ابن الزمن الصعب والعمل المستحيل، و الحلم الذي يتحقق، لقد كنت شعباً و أرضاً وعائلة وانتماءً لرفاقك و لكل أحرار العالم ، كنت جسراً إلى العبور إلى حيث نريد، إلى حيفا عكا و اللد و كل فلسطين،غير آبهين بصعوبة التضحيات و فداحتها طالما هي من أجل فلسطين".

وفي كلمة باسم القوى الوطنية والإسلامية قال نائب الأمين العام لحزب فدا الرفيق خالد الخطيب" في ذكرى غياب الراحل العظيم وضمير الثورة الفلسطينية، نستذكر جوهر تراثه بأن الاختلاف حق مشروع، لكن التناقض الأساسي والرئيسي مع الاحتلال، وهذا ما يحمله رفاق الحكيم و يعملون به".

كما دعا الخطيب إلى ضرورة تشكيل حكومة وحدة وطنية قادرة على مواجهة الاستحقاقات الملقاة على عاتقها.

وفي نهاية الحفل تم عرض الفيلم الوثائقي الحكيم ،حكاية وطن والذي يحوي في مضمونه عدة جوانب من حياة الحكيم من خلال عرض مقابلات أجريت مع من عايشوه وعرفوه.

الآلاف يشاركون بإحياء ذكرى الحكيم في بيت ساحور

أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في محافظة بيت لحم مساء اليوم مهرجاناً جماهيرياً كبيراً بمناسبة الذكرى الثامنة لرحيل الحكيم، وقد اقيم الاحتفال في محيط جدارية جورج حبش المقامة في شارع جمعية الشبان المسيحية بمدينة بيت ساحور، وبدأ الاحتفال باستعراض نظمه المئات من الملثمين الذين جابوا الشوارع المختلفة وصولاً إلى مكان الاحتفال الذي أدار عرافته الناشط محمد بريجية، حيث وقف الآلاف من الحضور دقيقة

صمت على أرواح الشهداء ومن ثم عزف النشيد الوطني الفلسطيني وبعد ذلك قدم عدد من الملثمين قسم الجبهة الشعبية.

وبعد ذلك تحدث رئيس بلدية بيت ساحور هاني الحايك الذي رحب بالحضور في مدينة بيت ساحور" مدينة العصيان المدني" و وجه التحية الى روح جورج حبش وكافة الشهداء وعلى رأسهم قادة شعبنا الذين دفعوا الغالي والنفيس من أجل أن يحيا شعبنا بكرامة وعز و إباء، كما وجه التحية الى كافة الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي الصامدين في وجه الفاشية الإسرائيلية المتغطرسة، وعلى رأسهم المناضل الوطني الكبير أحمد سعدات، وأعرب عن اعتزازه بدور جورج حبش الوطني على مدى عقود طويلة كما أعرب عن اعتزازه بقيام البلدية بتخصيص قطعة أرض لإقامة هذه الجدارية.

من جانبه القى عيسى قراقع رئيس هيئة الاسرى والمحررين كلمة باسم منظمة التحرير الفلسطينية حيث قال إن جورج حبش لم يكن إنساناً عادياً و لم يكن مناضلا وحسب أو قائداً وحسب بل كان مفكراً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فهو الذي رفض العودة إلى أرض فلسطين قبل أن يكون مع آخر لاجيء فلسطيني في الشتات وهو الذي طالب بإعادة مسيرة النضال الوطني الى مكانتها وهو الذي قال "ثوروا فلن تخسروا سوى القيد والخيمة"، وهو الذي قال" النضال الوطني الفلسطيني قد يستمر مائة عام أخرى فعلى قصيري النفس أن يتنحوا جانبا"، و وجه قراقع في حديثه التحية الى الأسير

الصحفي محمد القيق الذي يصارع بلحمه ودمه وشحمه دولة الكيان بكل ما تملك من أسلحة متطورة.

و قد ألقيت في المهرجان كلمة عائلة الدكتور جورج حبش باسم زوجته هيلدا وألقاها بالنيابة عنها جلال قمصية حيث جاء فيها :

... في ظل الأحداث الخطيرة من أعتى القوى الفاشية وما خلقته من دمار حولت بلادنا الى ساحات صراع على النفوذ وإلى حقل تجارب لجميع الأسلحة الفتاكة التي قتلت وهجرت الملايين من أبناء الأمة العربية، ومع ذلك نؤكد أن شعبنا سوف ينهض من بين الركام كطائر الفينيق لينتصر على الإرهاب الحقيقي وهو إرهاب الدولة في الكيان الصهيوني، و نقلت هيلدا حبش تحياتها وتحيات كريمتيها ميساء و لمى وكافة أفراد عائلة حبش للمحتشدين في بيت ساحور بهذه المناسبة، داعية الى ضرورة تشكيل قيادة وطنية موحدة لحماية الانتفاضة والعمل على وقف التنسيق الأمني.

وألقى بعد ذلك بسام أبو شريف مستشار الرئيس ياسر عرفات السابق كلمة حيث عرفه عريف الحفل بالقائد الوطني وصديق جورج حبش، كلمة قال فيها: كان جورج حبش قائداً قومياً وعربياً أصيلاً رأى في تقسيم الأمة العربية صلب القضية لأن وحدة الأمة العربية بمقدراتها وإمكانياتها ستكون نصيرا للفلسطينيين ولتحرير بلادهم، مؤكدا أن المقاومة يجب أن تستمر وتتواصل حتى ينهار الاحتلال منتقداً التصريحات التي تتفاخر بانها أحبطت عمليات ضد الكيان الإسرائيلي مؤكداً على أهمية وقف التنسيق الأمني مع إسرائيل حالاً، لأنه يضر بمصلحتنا ويصب في مصلحة إسرائيل وهذا ما

قرره المجلس المركزي الفلسطيني قبل عام و لا بد من تنفيذ هذه القرارات و أن لا يسحب البساط من تحتها.

وكان آخر المتحدثين محمود فنون القيادي في الجبهة الشعبية الذي ألقى كلمة باسمها وقال: ان مبادئ النضال الثوري الفلسطيني والعربي التي وضع أساسها جورج حبش ظلت باقية في أذهان ووجدان الأجيال جيلاً وراء جيل فما الذي يجعل شاباً أعزل يهاجم جندياً غير آبه بكل الآلة الحربية الإسرائيلية من طائرات و دبابات و مدرعات و هذا ما كان قد قاله جورج حبش إن هذه المدرعات لن تقتل إرادة القتال فينا.

منظمة الشبيبة الفلسطينية

تحيي ذكرى رحيل القائدين الحكيم و اليماني بمعرض للرسم و حفل فنيفي البداوي و نهر البارد

أحيت منظمة الشبيبة الفلسطينية ذكرى رحيل القائدين المؤسسين لحركة القوميين العرب و للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جورج حبش، و أبوماهر اليماني من خلال إقامة معرض للرسم وحفل فني أحيته فرقة القدس

للأطفال بحضور حشد جماهيري مثل المؤسسات و الجمعيات من مخيمات البداوي و نهر البارد.

و قد ألقى الرفيق طارق موسى عضو قيادة منطقة الشمال وعضو سكرتاريا منظمة الشبيبة كلمة المنظمة قال فيها: " تحية الشهادة و الشهداء، تحية الثورة المستمرة، تحية فلسطين من بحرها إلى نهرها، نقف اليوم أمام هامتين كبيرتين، و قائدين عظيمين في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني و ثورتها المعاصرة، نُحيي اليوم ذكرى رحيل حكيم الثورة الرفيق جورج حبش، و ضمير الثورة الرفيق أبو ماهر اليماني".

وأكد الرفيق موسى بأنه ليس غريباً أن يجتمع الراحلان في رحيلهما كما اجتمعا في حياتهما، فما جمع الحكيم والضمير كان حبُّ فلسطين من الوريد الى الوريد، جمعهما إيمانهما الذي لا يلين بحتمية الانتصار والتحرير والعودة إلى اللد التي سكنت قلب الحكيم، كما سحماتا التي سكنت قلب الضمير.

وأوضح موسى بأن ما جمع القائدين المؤسسين الحكيم وأبو ماهر هو إيمانهما بالكفاح المسلح طريقاً نحو فلسطين، كل فلسطين، وإيمانهما بالشباب الفلسطيني، فهما من القادة القلائل الذين أخلوا مراكزهم و تنحوا عن المنصب، لكنهما بالتأكيد لم يتخليا و لم يتنحيا عن دورهما الوطني المقاوم، ما جمعهما هو تواضع الكبار، و حنان الفدائي، نكران الذات،جمعتهما فلسطين.

وقال موسى " من كان يظن أو يعتقد أن فلسطين بعيدة المنال، أو حقنا في العودة طال و ابتعد، فليعد إلى إيمان الحكيم و أبو ماهر و سيرى بأن فلسطين أقرب إلينا من حبل الوريد، فلسطين حاضرة مع كل نبضة قلب، هذه عظمة القادة الكبار، لا يكلّون و لا يملّون و لا يتراجعون و لا يتخاذلون مهما اشتدت الصعاب و تآمر القريب و البعيد".

وخاطب موسى روح الراحلين قائلاً: " يا حكيمنا، يا أبا ماهر، ها هم شبابكم الذين عقدتم عليهم الأمل يعودون من قلب الوطن من اللد وسحماتا وعرابة وعرعرة و حيفا و يافا و الخليل و نابلس و غزة، ها هم شباب و صبايا و أطفال القدس، يُعيدون إلينا كرامتنا وعزتنا، يُعيدون إلينا روحنا التي حاول العدو سلبها، يُعيدون إلينا الأمل الذي حاول الأوسلويين أن يمحوه من ذاكرتنا".

وفي ختام كلمته، جدد تأكيده على أن هذه الفعالية هي إحياء لذكرى المعلمين الكبار الذين ربّوا أجيالاً على طريق فلسطين، مستذكراً في هذه المناسبة كبيرنا و رفيقنا وعزيزنا نبيل السعيد أبو باسم، فهو الوفي الذي تربّى على مبادئ ونهج الحكيم وأبو ماهر، وهو من ربّانا و زرع فينا حب فلسطين و القضية و روح المقاومة".

و بعد جولة على معرض الرسم للفنان الأستاذ برهان اليماني ، أحيت فرقة القدس الحفل بالغناء لعدة أغانٍ وطنية و تراثية.

الشعبية في رفح

تحيي ذكرى استشهاد الحكيم بحفل تكريمي حاشد

أحيت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في محافظة رفح الذكرى الثامنة لرحيل القائد الوطني والقومي والأممي المؤسس الدكتور جورج حبش من خلال حفل حاشد، تخلله تكريم لذوي الشهداء و الأسرى الرياضيين، و ذلك بحضور حشد كبير من قيادات وكوادر وأعضاء الجبهة، و شخصيات وطنية ومجتمعية و نسوية،

و افتتح عريف الحفل الرفيق أحمد بركات الحفل مرحباً بالحضور، داعياً إياهم للوقوف دقيقة صمت إجلالاً و إكباراً لروح الشهداء، ومن ثم عُزف السلام الوطني الفلسطيني.

وألقى عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة الرفيق محمد مكاوي كلمة الجبهة المركزية، استهلها بتوجيه الشكر للحضور على تلبيتهم الدعوة للمشاركة في هذا الحفل الذي تقيمه الجبهة بمناسبة ذكرى رحيل المؤسس الحكيم، ومن أجل تكريم كوكبة من شهداء وأسرى الحركة الرياضية في محافظة رفح، مجددين العهد لهم بأن تبقى الجبهة وفية لدمائهم وتضحياتهم حتى تحقيق كامل الأهداف التي قضوا من أجلها.

وقال مكاوي: " تأتي ذكرى رحيل الحكيم هذا العام وشعبنا يجدد الوفاء له ولكل الشهداء و يسير بانتفاضته الباسلة، مؤكداً أن خيار شعبنا هو المواجهة

الشاملة مع العدو الصهيوني من أجل انتزاع كافة حقوق شعبنا وفي المقدمة منها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس".

وأضاف مكاوي بأن " ذكرى رحيل الحكيم تحل وشعبنا على امتداد الوطن والمنافي، في القدس والضفة والقطاع وفي مناطق 48 يؤكد وحدته ووحدة أرضه ونسيجه وبنيته وتجذر هويته الوطنية الكفاحية في انتفاضة متصاعدة، تبدد أوهام عقود من مساعي التوطين للاجئين، والأسرلة لمناطق 48" والتفكيك لـ"مناطق 67"، ويمسح عقدين من رهانات أوسلو لاختزال خارطة الوطن والشعب والحقوق، وثماني سنوات من انقسام مدمر أنهك الحالة الوطنية، بما يؤكد تشبث شعبنا بحقوقه وأهدافه الوطنية وانشداده الحقيقي نحو مركز التناقض مع العدو الصهيوني مبدياً إبداعاً في أشكال كفاحه، و مرونة نضالية تتجاوز كل المراهنات الفاشلة على التفاوض العبثي، ومآسي الانقسام المدمر".

و شدد مكاوي في كلمته على أن شعبنا أثبت بانتفاضته قدماً بعزيمة لا تلين و ثبات لا يتزعزع، و أنه حصان الرهان المضمون، و أنه الحارس الأمين لأهدافه وطموحاته و أنه باستطاعته أن يتخطى كل ما ينتقص من حقوقه وأهدافه أو يتلاعب بها، موجهاً التحية لشهداء هذه الانتفاضة و لجرحاها، ولأسراها، و ألف تحية لمفخرة الأمة شباب و شابات شعبنا في ميادين المواجهة بأشكالها المختلفة والمبدعة.

وفي سياق استمرار الانتفاضة الجارية، ومن موقع المشاركة والانخراط الميداني في معمعانها، أكد مكاوي على موقف الجبهة الداعي لضرورة عقد اجتماع فوري خارج قبضة الاحتلال للإطار القيادي المؤقت لمنظمة التحرير الفلسطينية و اعتباره لجنة تحضيرية لتشكيل مجلس وطني جديد توحيدي ينهي الانقسام المدمر، و يقطع كلياً مع تعاقد أوسلو السياسي والتحلل من التزاماته الأمنية و الاقتصادية، و في مقدمتها التنسيق الأمني، و يعيد الاعتبار لمنظمة التحرير بوصفها الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا و قائد نضاله في مرحلة التحرر الوطني و الديموقراطي.

كما طالب بتوفير الركائز السياسية والميدانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمعنوية اللازمة لإدامة الانتفاضة وتطويرها، بدءاً بتشكيل قيادة وطنية موحدة موثوقة للانتفاضة الشعبية، بما يوسع قاعدتها الشعبية ويحولها إلى نمط حياة، و بما يجنبها مخاطر القمع الأمني والعسكري الصهيوني، و يحميها من مخاطر الإجهاض أو الإلتفاف السياسي على هدفها في طرد الاحتلال بمظاهره السياسية والعسكرية والأمنية والاستيطانية والاقتصادية وتحقيق الحرية والاستقلال من دون قيد أو شرط من شأنه أن يغلق الباب أمام تحقيق كامل حقوق شعبنا الوطنية والتاريخية، وجوهرها حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم التي شردوا منها.

وفي ختام كلمته توجه بالتحية لأبناء شعبنا في كل ميادين المواجهة، و لكل الجهود والطاقات والإمكانات الوطنية لحماية الانتفاضة وتطويرها

وتعميقها، بوصفها خياراً بديلاً ودعوة بالدم لإنهاء حالة الارتهان للتفاوض العبثي أو الايغال في الانقسام المدمر.

من جانبه، ألقى القيادي في جبهة النضال الشعبي الرفيق همام أبو مور كلمة القوى الوطنية والإسلامية، توجه خلالها باسم القوى بأسمى التحيات النضالية لرفاق الدرب في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مستذكراً معهم، ومع كل الأحرار في العالم، ذكرى رحيل رجل عظيم، و استشهاد قائد و مفكر سياسي ولد من رحم النكبة والألم، إنه الشهيد الدكتورجورج حبش أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحكيم الثورة وضميرها.

وقال أبو مور: " في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق 26-1-2016م، يكون قد مضى على رحيل الحكيم جورج حبش ثماني سنوات، فقدت فلسطين خلالها أحد أهم أعمدة النضال الوطني والقومي والأممي، التي ارتكزت عليها الثورة الفلسطينية المعاصرة".

وأضاف أبو مور: "جورج حبش ابن فلسطين البار، وفارسها المغوار، كان متمرداً على الظلم والجمود الفكري، وجسد ذلك بالانطلاق في فضاء العمل السياسي، فأسس مع رفاقه حركة القومين العرب عام 1951م، ومن ثم أسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1967م، وسطر بنضاله وتضحياته مسيرة حافلة بالعطاء من أجل القضايا العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص، حيث كان نعم المناضل الذي يكرّس حياته للعمل الدؤوب والمتواصل من أجل قضيته الوطنية، ومستقبل أمته العربية".

وأشاد أبو مور بمناقب الحكيم مشيراً أنه مثّل القائد الفذ، والحارس الأمين على الشرعية الوطنية والثورية، والمناضل الذي أسس حزباً كان له الدور البارز في النضال الوطني التحرري لشعبنا، والرجل الذي أسس منهجاً وفكراً و مدرسةً خرَّجت الأبطال والمناضلين، و لقد كان الحكيم أول أمين عام تنظيم سياسي فلسطيني وعربي يتخلى عن موقعه الحزبي ديمقراطياً، ليعطي بذلك درساً في الديمقراطية، و يفتح الباب واسعاً أمام الشباب للوصول لأعلى المواقع الحزبية.

وأكد أبو مور على أن التحديات الراهنة التي تواجه شعبنا ومشروعه الوطني تحتم على الكل الوطني التطبيق الأمين لاتفاق المصالحة التي وقعته الفصائل مجتمعه في القاهرة عام 2011، باعتباره المدخل السليم لإنهاء حالة الانقسام، بعيداً عن اتفاقيات المحاصصة الثنائية، و محاولات إدارة الانقسام بدلاً من انهائه، داعياً لضرورة الإسراع في تشكيل حكومة وحدة وطنية تأخذ على عاتقها توحيد المؤسسات في شطري الوطن، و إنهاء الحصار و فتح المعابر، و تسريع عمليات الإعمار، والتحضير لانتخابات رئاسية وتشريعية في غضون ستة أشهر من تشكيلها.

واعتبر أبو مور بأن دعم الانتفاضة الشعبية، والعمل عل تصعيدها وتطويرها إلى انتفاضة شاملة، سيعيد الاعتبار للقضية الفلسطينية، و سيعزز من قدرة شعبنا على الصمود، و سيزيد من عزمه على مواصلة النضال، حتى استرداد كامل حقوقه الوطنية، في العودة والحرية والاستقلال، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس.

من جهته، ألقى الأخ محمد عويضة كلمة أهالي الشهداء والأسرى، توجه فيها بالتحية الى روح الشهيد القائد جورج حبش، مشيراً أنه أسس مدرسة ثورية تلهم كل الثوار، متوجهاً بالشكر للرفاق في الجبهة الشعبية في محافظة رفح واللجنة الرياضية على هذه اللفتة في تكريم كوكبة من شهداء الحركة الرياضية في محافظة رفح.

كما توجه بالتحية لأرواح الشهداء الذين قدموا أرواحهم رخيصة من أجل أن ينال شعبنا حقه في العودة و الحرية و الاستقلال و إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، مستذكراً الشهداء العظام أبو عمار و الياسين و أبو علي مصطفى و الشقاقي و القاسم و غوشة و البرغوثي و أبو عطايا والقافلة طويلة من الشهداء العظام على مدار عمر نضال شعبنا ضد المشروع الاستعماري

وفي ختام كلمته، أكد عويضة بأن أهالي الشهداء، ستبقى دماء أبنائهم ودماء كل الشهداء ملهمة لنا وتنير لنا طريق الحق، داعياً الأخوة في كل الفصائل وفي مقدمتهم فتح وحماس ان يعملوا على صون وصايا الشهداء وأن ينهوا الانقسام الذي أضر بشعبنا و نضاله و ضرب النسيج الاجتماعي الفلسطيني

و تخلل الحفل العديد من الفقرات الفنية و في نهاية الحفل تم تكريم كوكبة من شهداء و أسرى الحركة الرياضية.

نابلس تنظم ندوة سياسية

بمناسبة الذكرى الثامنة لرحيل المؤسس د. جورج حبش

ضمن سلسلة فعالياتها بمناسبة الذكرى السنوية الثامنة لرحيل حكيم الثورة الرفيق الدكتور جورج حبش، نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قاعة الشهيد النقابي سامي طه التابعة للاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين بمدينة نابلس ندوة تحدث فيها كل من القيادي في الجبهة الشعبية المهندس عمر شحادة مدير مركز الهدف، والدكتور نبيل شعث عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، بالإضافة إلى حشد من رفاق وكوادر وأصدقاء الجبهة الشعبية، ومختلف فصائل العمل الوطني و مؤسسات و شخصيات المجتمع المدني، وبحضور الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين شاهر سعد والعديد من أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد .

و استعرض الرفيق شحادة في مداخلته الحياة النضالية الحافلة التي عاشها الحكيم، و إلى البعد الثوري والنضالي والسياسي الذي كان يمتاز به، وإلى رفضه لكافة اتفاقيات أوسلو و ما نتج عنها من حالة خراب عمت الأرض الفلسطينية، و أدت إلى تراجع المشروع الوطني الفلسطيني.

وأشاد الرفيق شحادة بعطاء الحكيم وما تركه من إرث وطني وثوري وفكر مستنير، داعياً الجميع للسير على دربه و تنفيذ وصيته التي تركها لنا.

واستعرض شعث في مداخلته حياة رفيقنا الراحل وما كان لرفيقنا من أثر على نهوض ثورتنا المعاصرة بفكره و بنضالاته، و من خلال تأسيسه لحركة القوميين العرب والجبهة الشعبية، مستعرضاً شراكة الحكيم مع مختلف قادة وفصائل العمل الوطني على مر حياته، مستشهداً بمقولاته الوحدوية، إضافة إلى بعد رؤيته وحكمته.

كذلك تطرق الدكتور شعث إلى التحديات الفلسطينية الراهنة، إن كان بما يتعلق بموضوع المصالحة بين حركتي فتح وحماس أو بالمرحلة التي يعيشها شعبنا، خصوصاً الانتفاضة الحالية، داعياً لضرورة أن تترك أثرها الإيجابي على قضيتنا.

وقد تخلل النقاش مداخلات عديده من الحضور استعرضوا فيها مناقب الحكيم ونضالاته، والأوضاع الراهنة.

وفي نهاية الندوة توجه الحضور إلى قرية عصيرة الشمالية وكان في استقبالهم حشد من الرفاق في منظمة النسر الأحمر في موقع عصيرة الشمالية.

أمسية ثقافية

في الذكرى الثامنة لرحيل د. جورج حبش في محافظة غزة

نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في محافظة غزة "منظمة الشهيد معين المصري" رابطة" الشهيد يوسف غبن" و رابطة "شهداء جبل المكبر " أمسية ثقافية بمناسبة الذكرى الثامنة لرحيل القائد المؤسس الحكيم د. جورج حبش تخللها عرض فيلم "الحكيم حكاية وطن..شهادات"،بحضور عدد كبير من الرفاق وأعضاء وكوادر وقيادة المنظمة .

وفي كلمة باسم الجبهة رثى الرفيق جمال المدهون الحكيم قائلاً "نقف اليوم مجتمعين لنحيي ذكراك الطيبة بعد غيابك عنا ونحن بأمس الحاجة إليك وإلى فكرك الساطع وبندقيتك الموجهة إلى صدر العدو" .
كما تعهد المدهون بوفاء الجبهة لدماء الشهداء وأنين الجرحى وعذابات الأسرى مؤكداً على البقاء على درب المقاومة والتحرير وعلى أن بندقية المقاومة ستبقى مصوبة دائماً في وجه الاحتلال الصهيوني حتى كنسه عن أرضنا، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على كامل التراب الوطني وعاصمتها القدس.

في ذات السياق وجه الرفاق في رابطتي الشهيد سعداوي وشهداء جبل المكبر التحية والشكر للجنة الإعلامية في محافظة غزة والمكتب الإعلامي

على إعداد الفيلم وإخراجه إلى حيز الوجود بهذا الشكل الرائع لافتاً إلى أن العرض القادم سيكون عن الرفيق محمد الأسود " جيفارا غزة " الذي شهد العدو له قبل الصديق على بطولاته وعملياته العسكرية مع رفاقه الأبطال .

لقي الفيلم ترحيباً كبيراً من الحضور حيث تناول في مضمونه محطات أساسية عن حياة الحكيم وشهادات لمن عايشه وشهادات أخرى لأعضاء وكوادر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

خاتمة

كلمة نائب الأمين العام للجبهة الشعبية الرفيق أبو أحمد فؤاد
في ذكرى استشهاد الحكيم

الرفيقات.. الرفاق:

في ذكرى استشهاد الحكيم، تتداعى إلى المخيلة، أفكار و خواطر، مشاعر، وانطباعات عديدة لأننا في حضرة رمز استثنائي و قائد قومي وطني مميز.

الحكيم جورج حبش ينطبق عليه تماماً، عنوان كتابه "الثوريون لا يموتون أبداً"، نعم أنه من أهم الثوريين و الذين لا يموتون أبداً، لماذا؟

لأننا حينما نتحدث عن فلسطين، وطناً، و شعباً، يحضر الحكيم، أو نتحدث عن القومية العربية والوحدة العربية يحضر الحكيم، أو عن النضال و المقاومة في فلسطين، يحضر الحكيم، أو عن مقاومة الاحتلال البريطاني في جنوب اليمن، يكون الحكيم حاضراً أيضاً، حتى لو تحدثنا عن جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية يكون الحكيم حاضراً و بقوة أيضاً، لماذا؟ لأن الحكيم جورج حبش كان رمزاً، و قائداً في كل مكان.

الحكيم مناضل وطني، و قومي جذري، حمل هم الوطن الصغير، فلسطين، و هم الوطن الكبير للأمة العربية، و تنكب واجب القضية بكل الإيمان، و القناعة الراسخة بعدالتها، و بعدالة كل ما يعمل لأجلها، و بصواب استحقاق النضال و التضحية بدون حدود لتحريرها.

أعطى الحكيم فلسطين وشعبها كل ما يملك، و ما يعرف، و أغلب ما يعمل مدركاً بعمق ترابط الوطني والقومي، و إن فلسطين الحلقة الأهم في واقع الأمة، الإمساك بها بقوة و تحريرها يعني انهيار كامل السلسلة بسقوط المشاريع الإمبريالية و الصهيونية المرسومة و التي تستهدف مجموع الأمة شعوباً و بلداناً.

قناعة الحكيم بتحرير فلسطين، قناعة لا تتزعزع، طال الزمان أم قصر، و إن تكالبت عليها قوى البغي و الاستعمار من كل أنحاء المعمورة، و سعى الصهاينة الغزاة بزرع قطعان مستوطنيهم في سهولها و أراضيها.

فالمشروع الصهيوني الإمبريالي إلى نهاية و زوال، كما كل الغزوات الاستعمارية التي جاءت على فلسطين و الوطن العربي.

كلمة السر التي اسمها فلسطين، و من خلفية الرؤية العميقة لما يمثل المشروع الاستعماري من أبعاد تضرب المصالح العربية والقومية في الصميم، سعى الحكيم إلى تشكيل الإطار القومي (حركة القوميين العرب) لجميع الأمة لأجل فلسطين، و لأجل الأمة و وحدة أرضها، و شعوبها و مكوناتها الإنسانية، و السياسية و الجغرافية.

لماذا المشروع الصهيوني في فلسطين؟ و لماذا وقفت الإمبريالية بكل ثقلها لإنجاح هذا المشروع؟ و لماذا حتى هذا اليوم، تقول أمريكا بالفم الملآن (إسرائيل خط أحمر)، و هي وجدت لتبقى، و إنها ينبغي أن تكون القوة الإقليمية الأقوى و الأهم في الشرق الأوسط..

لأن إسرائيل بما تمثل كقاعدة مصالح إمبريالية متقدمة تجهض أي حراك وطني و قومي يسعى لملمة شمل الأمة، بما يحفظ لها أوطانها، و ثرواتها و يدافع عن مصالحها و أهدافها.

إسرائيل ثكنة عسكرية مسلحة حتى أسنانها بكل الأسلحة ، بما فيها أسلحة الدمار الشامل السلاح النووي وهي بالوجود، و الأهداف، بالأبعاد و الخلفيات تخدم مصالح الإمبريالية العالمية في المنطقة.. وجودها يسهل نهب

ثروات الأمة العربية النفطية وغير النفطية و يرهن مقدراتها لصالح السطوة الغربية الإمبريالية. و يمزق الوحدة الجغرافية لها، و يوفر ظروفاً مؤاتية أكثر لحراك الإمبرياليين عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة.

إن الصراع المفتوح مع الصهيونية و كيانها "إسرائيل"، جعل من مواقف الحكيم السياسية، و قراءته رؤية تتسم بالموضوعية و الجذرية، وصولاً إلى الحقيقة الصارخة، بأن لا صلح، و لا اعتراف، و لا تعايش مع الاحتلال، وهذا ما مثلته سابقاً و لاحقاً مواقف حركة القوميين العرب، و الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و التي تغذت على أفكار الحكيم في القومية، و الوحدة العربية، و المواجهة الجذرية مع الاحتلال عبر المقاومة بكل أشكالها وفي مقدمتها الكفاح المسلح.

لذا سعى الحكيم دائماً لإحداث توازنات في الحالة الفلسطينية، و الحالة العربية عبر ائتلافات، و أطر و تحالفات، توقف التراجعات التي كانت تطال المواقف الفلسطينية، أو العربية، و جبهة الرفض الفلسطينية، أو جبهة الرفض العربية، أو التحالف الديمقراطي، أو غيرها من الإطارات السياسية الفلسطينية أو العربية، التي كانت تهدف إلى الحفاظ على ثوابت، و قواعد الاشتباك و المواجهة مع الاحتلال و الغزوة الصهيونية الإمبريالية لفلسطين و الوطن العربي .

الحديث عن الحكيم و مواقفه، و قراءته، و نضالاته، تبدأ و لا تنتهي، لذا أخذنا قبساً صغيراً منها، لأن قامةً فكرية و سياسية، و نضالية و قومية مثل قامة الحكيم بحاجة لعدة كتب، و ليس لعدة صفحات قليلة للحديث عنها.

وأخيراً، و ليس آخراً، فإن الحركة الثورية العربية عموماً، و اليسارية منها على وجه الخصوص، فقدت باستشهاد الحكيم وغيابه عن المعترك السياسي، الكفاحي، القومي والوطني قائداً و رمزاً استثنائياً، كانت و ما زالت بأمس الحاجة إليه و لأمثاله من القادة العظام و الذين يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، و تسجل أسماؤهم في السفر الكفاحي لشعوبهم بأحرف من نور..

حكيمنا في ذكرى استشهادك.. و في ظل ما تواجه فلسطين و مجموع الأمة فإننا نعاهدك و نعاهد شعبنا العظيم بالاستمرار في المقاومة و النضال حتى النصر و التحرير.

أبو أحمد فؤاد

نائب الأمين العام

للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

فهرس

مقدمات ص 9

الفصل الأول:شخصيات عايشت الحكيم ص 23

الفصل الثاني: مساهمات و آراء- بأقلام كتاب عدة ص 89

الفصل الثالث : بقلم الحكيم ص 149

الفصل الرابع: احتفالات و نشاطات ص 175

الخاتمة: ص 219